المبحث الثالث
المنظومة المعرفية لآيات الربا
(سورة البقرة)

الفرع الأول : السياق الداخلي لآيات الربا – البقرة .

الفرع الثاني : الإطار العقيدي ذو المضمون الإقتصادي التشريعي – البقرة .

الفرع الثالث : الإطار العقيدي ذو المضمون الاقتصادي العام – البقرة .

الفرع الرابع : الإطار العقيدة البحت – البقرة .

الفرع الخامس : أوجه اعجاز تجميعية في المنظومة المعرفية لآيات الربا – البقرة .

الفرع السادس : إعادة ترتيب الأطر المحيطة بآيات الربا – البقرة .

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

سورة البقرة مدنية ، آيات الربا فى هذه السورة من آخر آيات القرآن الكريم نزولا عن الربا . وقد جاء فيها الربا على نحو مفصل وتمتد من الآية ٢٧٥ إلى الآية ٢٨١ . وفق المنهج المتبع فى هذه الدراسة فإن هذه الآيات سوف تدرس تحت عنوان : السياق الداخلى لآيات الربا فى سورة البقرة .

وفق المنهج المتبع أيضا فإننا ندخل فى الدراسة السياق الذي جاءت فيه آيات الربا ويدرس هذا تحت عنوان الإطار الذى جاءت فيه آيات الربا . تبين من دراسة هذا السياق أنه يمتد على مساحة واسعة من الآيات كما أنه يتضمن عددا من الأطر ، وحيث تغلق دائرة الأطر بإطار عقيدى بحت . ويعنى اغلاق الأطر بإطار عقيدى أن العقيدة هى العنصر الحاكم بداية ونهاية فى الإطار الذى يغلف آيات الربا فى كل المواضع التى جاءت بها فى القرآن الكريم .

الفرع الأول : السياق الداخلى لآيات الربا

يقول الله سبحانه وتعالى :

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

أولا : عناصر السياق الداخلى .

النظر المدقق لاستنباط المنظومة المعرفية للسياق الداخلى لهذه الآيات يبين أنها عرضت فى ثلاثة عناصر .

العنصر الأول : ما هو قائم وما ينبغى أن يكون

١- جاء هذا العنصر فى الآيتين : ٢٧٥ - ٢٧٦ . وصفت الآيتان الحالة التى عليها المتعامل بالربا (آكله) ويسمى هذا منهجيا (ما هو قائم) . ثم أخبرت الآيتان أن الربا حرام (والبيع حلال) ويسمى هذا منهجيا (ما ينبغي أن يكون) . يذكر فى هذا الصدد أن الدراسات الاقتصادية تعرفت الآن على هذين المنهجين ، ما هو قائم وتسميه المنهج الموضوعى وما ينبغى أن يكون وتسميه المنهج المعيارى .

٢- القرآن وهو يصف ماهو قائم استخدم فى العرض الفاظا وتراكيب لها وقع عنيف وذات جرس قوى وذلك مثل آكل الربا ، والتخبط من مس الشيطان ، والانتهاء عند مجئ الموعظة ، ومحق الربا ، هذه الألفاظ والتراكيب أدت وظيفتين ، الوظيفة الأولى بشاعة المجتمع الذى يتعامل بالربا، والوظيفة الثانية بشاعة العاقبة .

٣- تكتمل اللوحة الأولى بما يمكن أن يسمى التوجيه ، ويعنى هذا أن القرآن الكريم لم يقف عند حد بيان ما هو قائم وما ينبغي أن يكون وإنما أعطي التوجيه ، والتوجيه فيه ضمنا بيان ما يجب الإلتزام والعمل به ، هذا التوجيه هو أن الله يمحق الربا ويربى الصدقات (آية ٢٧٦) .

العنصر الثاني : المجتمع المهيأ لقبول التشريع (تحريم الربا وغيره)

١- عرض فى العنصر الأول ما هو قائم وما ينبغى أن يكون وتضمن حكما بالحل والحرمة ، جاءت الآيات التالية لتعطي العنصر الثانى وحيث يصف المجتمع الذى يمكن أن يقبل التشريع ؛ أى المجتمع الذى يمكن أن يلتزم بأمر الحل والحرمة ، والآيتان ٢٧٧ و٢٧٨ تصوران هذه العنصر .

٢- تحدد فى العنصر الثانى خصائص المجتمع الذى يقبل التشريع بما فيه من أمر بحل أو حرمة ، هذه الخصائص هي : (أ) الإيمان (ب) العمل الصالح ، (جـ) إقامة الصلاة ، (د) إيتاء الزكاة (الآية ٢٧٧) .

٣- فى العنصر الثانى حيث يوصف المجتمع الإيمانى الذى يتلقى التشريع بالحل والحرمة استخدمت ألفاظ وتراكيب فيها رقة ولطف : لاخوف ، ولا هم يحزنون (الآية ٢٧٧) .

٤- على نحو ما انتهى العنصر الأول فإن العنصر الثانى ينتهى بتوجيه يربط بين الإيمان وهو موضوع العنصر الثانى والربا وهو الموضوع العام للآيات كلها ، التوجيه يتضمن خطابا آمرا للمؤمنين الذين يتكلم عنهم بأن يتركوا الربا والتوجيه يستلزم أن من مقتضيات الإيمان ترك الربا (الآية ٧٨) .

العنصر الثالث : السلوكيات المحتملة ونتائجها

١- عرض فى العنصر الأول ما هو قائم وما ينبغى أن يكون مع توجيه بمحقق الربا وإرباء الصدقة ، وعرض فى العنصر الثانى المجتمع الإيمانى المهيأ لقبول التشريع (بما فيه تشريع تحريم الربا) مع توجيه بأن من مقتضى الإيمان ترك الربا .

تجئ الآيات التالية (٢٧٩ - ٢٨١) عارضة العنصر الثالث وموضوعه السلوكيات المحتملة ونتائجها . والمعقولية فى ورود هذه المنظومة فى هذا الترتيب أنه سبق الاخبار بأن الربا حرام ، وإن من مقتضيات الإيمان ترك الربا ، والموقف الآن يلائمة عرض السلوكيات المحتملة .

٢- أحد السلوكيات المحتملة هو عدم الاذعان للأمر الإلهى بترك الربا ويتحدد فى العنصر العقوبة : الحرب من الله ورسوله (آية ٢٧٩) .

٣- السلوك الثانى المحتمل هو الامتثال للأمر الإلهى وترك الربا ، وقد حددت الآيات طريق التوبة من الربا بثلاثة اختيارات ؛ استرداد رأس المال المقرض والتأجيل والاعفاء من القرض (التصدق) .

٤- على نحو ما انتهى العنصر الأول والثانى ينتهى العنصر الثالث بتوجيه ، هذا التوجيه يذكر باليوم الآخر الذى نرجع فيه إلى الله وبهذا تربط الدنيا بالآخرة ويقتضى هذا ضمنا أن تربط أمور الاقتصاد بالآخرة . وقد أفاد هذا الربط أن أمور الاقتصاد تعتبر كلا من العائد الدنيوى والجزاء الأخروى .

يمكن عرض العناصر الثلاثة السابقة فى لوحة بيانية ، وذلك بقصد زيادة توضيح موضوعها، وكذلك لبيان الارتباط بين موضوعات اللوحات الثلاث . اللوحة البيانية (٢٠) تحقق القصد المذكور .

اللوحة البيانية (٢٠)

عناصر المنظومة المعرفية للسياق الداخلي لآيات الربا – البقرة

	الموضوع	التوجيه
العنصر الأول	- ما هو قائم وما ينبغي أن يكون - الآية : ٢٧٥	-محق الربا وإرباء الصدقة - الآية : ٢٧٦
العنصر الثاني	- خصائص المجتمع الإيماني المهيأ لقبول تحريم الربا - الآية : ٢٧٧	- ترك الربا - الآية : ٢٧٨
العنصر الثالث	السلوكيات المحتملة - الآيتان : ٢٧٩ - ٢٨٠	التذكير بالآخرة - الآية : ٢٨١

ثانيا: الوحدات الاجتماعية المعتبرة في السياق الداخلي

دراسة آيات الربا المذكورة في سورة البقرة من حيث المفردات اللغوية المستخدمة ودلالاتها تكشف بدورها عن عناصر في المنظومة المعرفية التي عرض بها القرآن الكريم هذا الموضوع . نختار ثلاث مفردات ونعتقد أنها ذات دلالة في المنظومة اللغوية للموضوع . المفردات الثلاثة هي المس والمحق والحرب .

المس : يقول الشوكاني عنه : المراد تشبيه من يحرص في تجارته في جمع ماله من الربا بقيام المجنون ، لأن الحرص والطمع والرغبة في الجمع استفزته حتى صار شبيها في حركته بالمجنون [١]

المحق : يقول محمد رشيد رضا ناقلا عن الإمام محمد عبده لعل المراد بمحق الربا محو ما يطلب الناس بزيادة المال من اللذة وبسطة العيش والجاه والمكانة، وزيادة الربا

---

(١) الشوكاني (الإمام محمد بن علي الشوكاني) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، جـ١ ، دار الفكر ، ١٤٠٣-١٩٨٣ ، ص ٢٩٥ .

تذهب بذلك لاشتغال المرابى عن اللذة وخفض العيش بولهه فى ماله ولقت الناس وكراهتهم له [١] .

الحرب : يقول سيد قطب : حرب الله على المتعاملين بالربا تكون بالسلاح بين الأمم والجيوش فالمرابون هم الذين يوقدون هذه الحرب [٢] .

كل مفردة لغوية من المفردات المذكرورة تدل على وحدة تحليل ؛ المس يدل على شخص الإنسان نفسه ، فوحدة التحليل هى الفرد . التعامل بالربا يعمل على تدمير الفرد نفسه ، حتى فى انفعالاته وحركاته .

المحق يعمل على الحياة الاقتصادية ، فالربا يدمر الحياة الاقتصادية من حيث الاستمتاع بها ومن وجوه أخرى ، فوحدة التحليل هنا هى الحياة الاقتصادية .

الحرب تدمر النوع الإنسانى ، سواء تدميرا حقيقيا أو تدميرا معنويا بالتأثير فى العلاقات التى تنشأ بين افراد النوع الإنسانى بسبب التعامل بالربا ، فوحدة التحليل هى النوع الإنسانى ككل .

عرض بيانى فى اللوحة (٢١) لهذه المفردات ووحدة التحليل التى تعمل عليها يمكن أن يزيد إيضاح المعنى ، كما يبين أيضا الارتباط بين الوحدات .

ربط المفردات الثلاث المستخدمة بوحدات التحليل التى تعمل عليها يبين أن القرآن الكريم استخدم مفردات تتدرج من الفرد إلى وحدة أكبر وهى الحياة الاقتصادية ثم إلى الوحدة الأكبر وهى وحدة النوع الإنسانى ككل . هذا التدرج فى وحدات التحليل يمثل أحد عناصر المنظومة المعرفية لموضوع الربا فى القرآن الكريم .

ثم إن الوحدات الثلاث المدلول عليها تجمع كل الوحدات الممكنة ، أى تستوعب الوحدات الممكن العمل عليها فى موضوع الربا الذى هو موضوع اقتصادى [٣] .

---

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، جـ٣ ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ص ١٠٠ .

(٢) سيد قطب ، فى ظلال القرآن الكريم ، جـ١ ، دار الشروق ، الطبعة ١٣ ، ١٩٨٧ – ١٤٠٧، ص ٣٣١ .

(٣) من المعروف أن وحدة التحليل فى الاقتصاد إما الفرد ، أى الوحدة المتناهية فى الصغر ، وهذا فى Microeconomics . وإما المجتمع الاقتصادى ، أى الاقتصاد على المستوى القومى Macreconomics

اللوحة البيانية (٢١)

الوحدات الاجتماعية المعتبرة فى السياق الداخلى لآيات الربا - سورة البقرة

المفردة اللغوية	الوحدة الاجتماعية المعتبرة
المس	الفرد
المحق	المجتمع الاقتصادى
الحرب	المجتمع الإنسانى كله

ثالثا: التتابع والإرتباط بين آيات السياق الداخلى

متابعة دراسة النسق الداخلى لآيات الربا فى سورة البقرة يكشف عن عنصر آخر فى المنظومة المعرفية القرآنية لهذا الموضوع . الآيات السبع التى ذكر فيها الربا فى سورة البقرة (٢٧٥ - ٢٨١) بدأت بالحديث عن الربا الآيتان (٢٧٥ - ٢٧٦) ، ثم يتوقف الحديث عن الربا ويبدأ القرآن الحديث عن المؤمنين وخصالهم (الآية ٢٧٧) ثم تجئ آية يمزج فيها الحديث عن المؤمنين وعن الربا (الآية ٢٧٨) ثم يعود الحديث بالكامل عن الربا (الآيات ٢٧٩ - ٢٨١) .

قد يبدو لأول وهلة أن الحديث عن المؤمنين وخصالهم وسط آيات تتحدث عن الربا ليس له تبرير واضح جلى إلا أن النظر الدقيق فى الأمر يبين أن الحديث عن المؤمنين وخصالهم هو عنصر أصيل فى سياق الموضوع ، ولذلك فمجيئه فى هذا الموضع جعل المنظومة المعرفية القرآنية لهذا الموضوع تكشف عن وجه من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم .

الآيتان ٢٧٥ - ٢٧٦ صورتا المجتمع الذى يتعامل بالربا ، وفى نفس الوقت أفادتا بحكم الربا وأنه حرام . وقد جاء بالآية الأولى : " فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " وجاء فى الآية الثانية : «والله لا يحب كل كفار أثيم » لقد دلت العبارتان على أن من أنكر حرمة الربا يكون كافرا(التخليد فى النار). وتختم الآية الثانية بقوله تعالى «والله لا يحب كل كفار أثيم» هكذا لم يصبح الأمر متعلقا بالربا وإنما انتقل الحديث إلى الكفر ، لهذا يكون الحديث عن الإيمان فى الآيات التى تتلو ذلك له معقوليته بل يكون هو المعقول الوحيد .

ثم إن فى الأمر لمحة إعجاز أخري هى أن الآيتين ٢٧٥ و٢٧٦ عرضتا أمر الربا فى الواقع وما ينبغى أن يكون والآيتان ٢٧٩ و٢٨٠ بينتا السلوكيات المحتملة لمن يتلقى هذا الأمر بشأن الربا ، يكون معقولا، بل هو المعقول الوحيد أنه قبل عرض السلوكيات المحتملة أن يبصر الله المؤمنين فيذكر بالخصال التى ينبغى أن يكونوا عليها هذا التبصير يكون معينا لهم ومرشدا فى الاختيار بين السلوكيات التى عرضت بعد ذلك فى الآيتين ٢٧٩ و٢٨٠ .فيجئ هذا التبصير فى الآيتين ٢٧٧ و٢٧٨ .

فى الآية ٢٧٨ يقول الله سبحانه وتعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين " هذه الآية ربطت بين المجتمع الإيمانى وترك الربا . لذلك فهذه الآية وحدها تمثل عنصرا فى المنظومة المعرفية القرآنية المعجزة . إن الآية تمثل ربطا فى أعلا درجات المعقولية بين الحديث عن المجتمع الإيماني (الآية ٢٧٧) والحديث عن السلوكيات المحتملة لمن يتلقي أمر تحريم الربا (الآيتان ٢٨٩ و٢٨٠) ، فالآية كما قلت جمعت الحديث عن العنصرين : المجتمع الإيمانى وترك الربا .

يضاف إلي ما سبق أن مجئ الآيتين ٢٧٧ و٢٧٨ والحديث فيهما عن المجتمع الإيمانى وأن من خصائصه ترك الربا ، مجئ الآيتين يلمح إلى اختيار المؤمنين بين السولكيات المحتملة التى سيجئ بعد ذلك فى الآيتين ٢٧٩ و٢٨٠ أى أن اختيار المؤمنين أصبح معروفا . ومجئ المنظومة المعرفية على هذا النحو هو وجه من وجوه الإعجاز المعرفى القرآنى .

تعرض اللوحة البيانية (٢٢) التتابع والارتباط فى آيات السياق الداخلى على النحو الذى سبقت مناقشته .

اللوحة البيانية (٢٢)

منظومة التتابع والارتباط فى السياق الداخلى لآيات الربا – سورة البقرة

إنكار تحريم الربا

↓

الآيتان ٢٧٥ – ٢٧٦ يقود إلي

↓

الكفر

الآيتان ٢٧٧ – ٢٧٨ خصائص المؤمن

↓

الإيمان

يقود إلي

↓

الالتزام بتحريم الربا

الآيتان ٢٧٧ – ٢٧٨ السلوكيات المحتملة

↓

عدم الالتزام بتحريم الربا

↓

يقود إلي

↓

الحرب

↓

الالتزام بتحريم الربا

طرق التوبة

↓

- إسترداد أصل الدين
- التأجيل
- التصدق بالدين

obeikan.com

رابعا : المنظومة المعرفية لمشروعية الحرب بسبب الربا

الآيات المذكورة عن الربا أفادت اعلان الحرب بسبب التعامل بالربا . نحتاج إلى تتبع المنظومة المعرفية لهذه الآيات وحيث يفيد هذا التتبع أن اعلان الحرب فى الموضع الذى جاء فيه يتمتع بمشروعية كاملة . بعبارة أخري إن الآية التى تضمنت اعلان الحرب سبقتها آيات تحتوي على الأسباب الكافية لاعلان الحرب .

١- الآية ٢٧٥ صورت بشاعة التعامل بالربا ، هذه البشاعة تظهر على سلوك الفرد نفسه وفى انفعالاته وفى أحاسيسه . العاقل الذى يتعرف على هذه البشاعة يكون سلوكه الطبيعى والسوى هو الاقلاع عن هذه المعاملة ، فإذا لم يفعل فإنه سوف يعامل على أنه غير طبيعى وغير سوى . ثم تختم الآية المشار إليها بقوله تعالى " فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيهاخالدون " هذا الختام يزيد المسئولية على الشخص كما يزيد من بشاعة الربا . هكذا فإن الآية الأولى أعطت سببا لمشروعية مساءلة المتعامل بالربا .

٢- الآية ٢٧٦ صورت بشاعة التعامل بالربا على الحياة الإقتصادية للفرد وللمجتمع، لهذا فإن الذى يتعامل بالربا مع علمه بدوره المدمر للاقتصاد يكون قد وضع نفسه موضع المساءلة . هذه الآية تعطى سببا آخر لمشروعية مساءلة المتعامل بالربا .

٣- ختام الآية ٢٧٦ : " والله لايحب كل كفار أثيم " يربط بين الربا والكفر بشكل ما، وهكذا نبدأ نحس أن الأمر لم يعد محصورا فى الجانب الاقتصادى وإنما مد إلى الجانب العقيدى . يمكن بناء على هذا أن يستنتج أن المساءلة التى تقع على المتعامل بالربا ليست عن جانب اقتصادى وإنما دخل فى المساءلة العنصر العقيدى .

٤- الآية ٢٧٧ بينت خصال المؤمن ، ثم جاءت الآية ٢٧٨ وفيها أمر للمؤمنين بصفة أنهم مؤمنون أن يتركوا التعامل بالربا . ينتج بناء على هذا أن الربط أصبح صريحا وقاطعا بين الربا والعنصر العقيدى .

٥- هكذا نجد أن المنظومة المعرفية لآيات الربا من ٢٧٥ - ٢٧٨ تدرجت فى بيان مشروعية مساءلة المتعامل بالربا والمنكر لحرمته ؛ فالربا يخرج بالشخص عن سلوكه الطبيعى والسوى الذى خلقه الله ويدمر الحياة الاقتصادية ثم هو أخيرا له ارتباطه السالب بالعنصر العقيدى .

المنظومة المعرفية إلى الآية ٢٧٨ جعلت الربا أمرا له ارتباطه بالعقيدة ؛ أى الإيمان والكفر . وبما أن الأمر كله أصبح مرتبطا بالعقيدة لهذا تكون الحرب قد أصبحت مشروعة ؛ وهى حرب من الله . كيفية هذه الحرب ومستواها وأطرافها كل هذا كله بيد الله .

٦- تجئ الآية ٢٧٩ معلنة الحرب من الله بعد أن تكون المنظومة المعرفية للآيات السابقة قدمت المشروعية الكاملة لهذه الحرب .

ما يجب التأكيد عليه هو أن الحرب تعلن لأمر عقيدى ، فهذا هو سبب الحرب فى الإسلام ، ومظهر الاعجاز فى المنظومة المعرفية القرآنية للأيات موضع الدراسة أنها عرضت عناصر الموضوع فى تطور يقود باقتناع كامل إلى أن الربا أصبح له ارتباطه بالعنصر العقيدى .

فيما يلى نقدم عرضا بيانيا(اللوحة ٢٣) لهذه المنظومة المعرفية التى اقنعت بمشروعية الحرب بسبب الربا وحيث يظهر هذا العرض الاعجاز القرآنى فى هذا الأمر بشكل أوضح .

اللوحة البيانية (٢٣)

المنظومة المعرفية لمشروعية الحرب بسبب الربا - سورة البقرة

اللوحة (٢٣-أ)

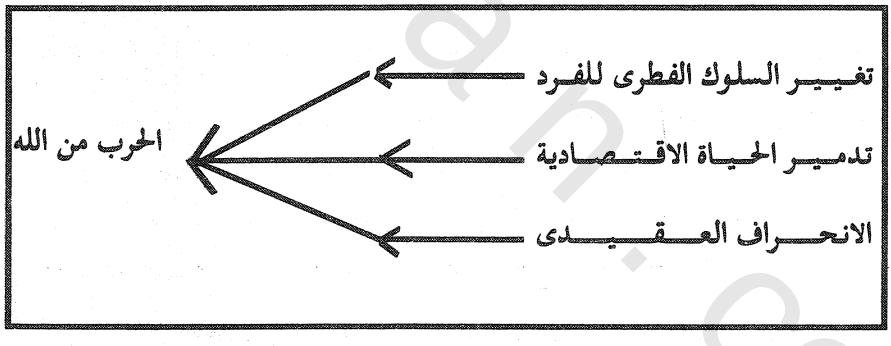

اللوحة (٢٣ - ب)

العنصر	مجال عمله
١- تغيير السلوك الفطرى للفرد	١- الفرد
٢- المحق الاقتصادى	٢- المجتمع الاقتصادى
٣- الانحراف العقيدى	٣- الحياة الانسانية
٣,٢,١ ← الحرب من الله ← ٣,٢,١	

خامسا: المنظومة المعرفية للموضوعات الاقتصادية فى آيات السياق الداخلى

الربا موضوع مرتبط بالاقتصاد وذلك بسبب أنه قد يبدو أنه يمثل أحد أشكال الدخل التى يحصل عليها الفرد ، لهذا يكون مطلوبا فى بحث عن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم أن يتم التعرف على العناصر الاقتصادية التى تعتبر عند بحث هذا الموضوع الاقتصادى وهو الربا .

نحاول زيادة توضيح موضوع هذه الفقرة . من المعروف أن أى موضوع اقتصادى له عناصره المرتبطة به والتى تكون موضع اعتبار عند الحديث عنه أو بحثه . بنفس المنهج فعندما عرض القرآن الكريم موضوع الربا ما هى العناصر الاقتصادية التى اعتبرها مرتبطة وذات صلة به .

تتبع آيات سورة البقرة التى خصصت للربا يبين أن القرآن الكريم يعتبر العناصر الاقتصادية التالية ذات صلة بموضوع الربا : (١) الاضطراب النفسى للشخص فى سلوكه الاقتصادى ، (٢) البيع ، (٣) محق الاقتصاد ، (٤) الصدقة ، (٥) الزكاة ، (٦) الحرب (بعدها الاقتصادى)، (٧) اجراءات سداد الدين .

يكشف النظر فى العناصر السبعة السابقة عن أنها يمكن أن تصنف فى مجموعتين، مجموعة تضم العناصر ذات الخاصية الإيجابية ، ومجموعة تضم العناصر ذات الخاصية السلبية .

أ- العناصر الإيجابية

يقصد بالايجاب أنها عناصر لها أثرها الايجابى على الاقتصاد وهى فى ذات الوقت بديل عن الربا فالايجاب يتحقق فيها لبعدها عن الربا . العناصر الإيجابية هى :

١- البيع : البيع له معناه الفنى الاصطلاحى لكن استخدامه كبديل للربا مقصود به المعاملات الخالية من الربا ؛ سواء معاملات البيع بمعناه الاصطلاحى أو المقصود المعاملات الأخرى المشروعة لخلوها من الربا .

القرآن الكريم عندما يعرض البيع كبديل للربا فإنه بهذا يعطى التوجيه التالى:إن دراسة الربا يجب أن تعطى الاهتمام الحقيقى لعرض البديل عن الربا. هذا يؤكد الفكرة التى يرتبط بها هذا البحث وهى أنه عند مناقشة أمر الربا فى الاقتصاد المعاصر فيجب اعطاء الاهتمام الأكبر لعرض البديل الشرعى للربا، ذلك أن الحديث عن الربا هو من نوع لا تفعل ، بينما الحديث عن البديل هو من نوع أن تفعل كذا وكذا .

٢- الصدقة : يمكن القول أن الصدقة مستخدمة هنا فى معناها العام الذى يشمل الزكاة وغيرها . التوجيه الذى يعطيه ربط الصدقة بالربا ينصرف إلى توفير كفاية الشخص الذى يحتاج للاقتراض لانفاقات ذات طبيعة اجتماعية وليست استثمارية . لهذا يكون مصطلح البيع مقصودا به الجانب الاستثمارى بينما مصطلح الصدقة مقصودا به المساعدة فى المجال الاجتماعى . إن الشخص عادة يطلب المال من آخر إما للاستثمار ومصطلح البيع ينصرف لهذا وإما أنه يطلب المال لظرف (اجتماعي) يمر به أى الاحتياج ، ومصطلح الصدقة ينصرف لهذا .

هكذا تكون المنظومة المعرفية القرآنية في استخدامها لهذين المصطلحين قد غطت جانبى تبادل المال بين الأفراد .

٣- الزكاة الواردة فى هذه الآيات مقصود بها المعني الاصطلاحى للزكاة ووردت فى هذه الآيات للدلالة على أحد عناصر الشخصية الإيمانية وهى أنها تؤتى الزكاة . ورود مصطلح الزكاة فى سياق حديث عن الربا يكون دالا على مقابلة تضاد بين الزكاة والربا ؛ فاختيار هذا العنصر بذاته من عناصر الشخصية الإيمانية له دلالته بالنسبة للربا ، إنه يدل على أن الزكاة تعمل فى المجتمع المؤمن بحيث تؤمن ضد الاقتراض الربوى لأغراض الاحتياج الاجتماعى ..

٤- العنصر الاقتصادى الرابع الذى يعرضه القرآن الكريم فى سياق الحديث عن الربا هو اجراءات سداد الدين عند التوبة من الربا . الاجراءات الواردة فى الآيات محل الدراسة تستغرق كل الاحتمالات . التوجيه الذى يعطيه هذا العنصر الرابع هو أهمية بيان كيفية تخليص المجتمع من الربا فى حالة وقوعه فيه . إذا أحلنا إلى عصرنا فإن التوجيه الذى معنا يرشدنا إلى كيف نخلص الاقتصاد المعاصر من الربا ولا نقف عند حد اعلان أن الربا حرام .

ب- العناصر السلبية

يقصد بالسلب الآثار الضارة على الاقتصاد بسبب التعامل بالربا . العناصر الاقتصادية السالبة المرتبطة بالربا والتى عرضتها الآيات هى التالية .

١- اضطراب الشخص فى سلوكه الاقتصادي : يستنتج هذا المعنى من قول الله سبحانه وتعالى : " يتخبطه الشيطان من المس " سبق عرض هذا الأمر ، ومما قيل عنه أنه يعمل على مستوى الفرد (وحدة التحليل) . يعنينا هنا بيان السلبية التى يتضمنها هذا التعبير . إن الذى يتعامل بالربا يستهدف أن يؤمن الحصول على دخل بدون احتمال خسارة . هذا هو ما يعنيه الربا لأنه بديل عن المشاركة فى الربح والخسارة ، لكن القرآن يخبر أن هذا الشخص الذى استهدف تأمين الدخل فإنه في مقابل ذلك

يفقد طبيعته السوية، سواء فى مجال الاقتصاد أو المجالات الأخرى . هذه عقوبة وعلى الشخص أن يقابل ويختار بين تأمين شخصيته وبين تأمين دخل .

٢- المحق الاقتصادى : يقود الربا إلى خراب اقتصادى ، والخراب الاقتصادى يمكن ترجمته فى شكل أزمات اقتصادية وغير ذلك من أنواع المشاكل الاقتصادية . السلبية التى يتضمنها المحق الاقتصادى المتسبب عن الربا تتمثل فى الآتى : إن الذى يتعامل بالربا يستهدف تأمين دخل لكنه يعرض بذلك كل الاقتصاد للخطر ، ماله وما لغيره . وعلى الشخص أن يقابل ويختار إما تأمين دخل قليل له وإما تأمين ثروته وثروة مجتمعه .

٣- الحرب الاقتصادية : مصطلح " مس الشيطان يعمل على الفرد وحده ، مصطلح المحق يعمل على الفرد وعلى مجتمعه ، أما مصطلح الحرب الاقتصادية فإنه يضم إلى ذلك المجتمع الإنسانى كله . هكذا بالحرب تغلق دائرة سلبيات الربا : الفرد - المجتمع المحلى - المجتمع الدولى .

إن عرضا بيانيا يمكن أن يجسد بوضوح أكبر المنظومة المعرفية للموضوعات الاقتصادية التى ربطها القرآن الكريم بالربا فى سورة البقرة ، ويظهر هذا العرض فى اللوحة البيانية (٢٤) . اللوحة البيانية (٢٤)

المنظومة المعرفية للعناصر الاقتصادية للسياق الداخلى لآيات الربا - سورة البقرة

لوحة (٢٤-أ)

العناصر الاقتصادية ذات الطبيعة الايجابية

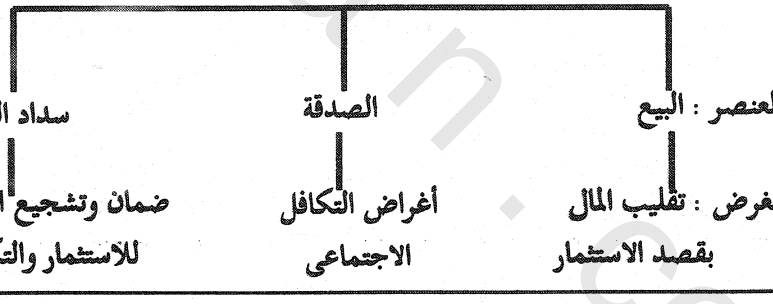

لوحة بيانية (٢٤ - ب) العناصر الاقتصادية ذات الطبيعة السالبة

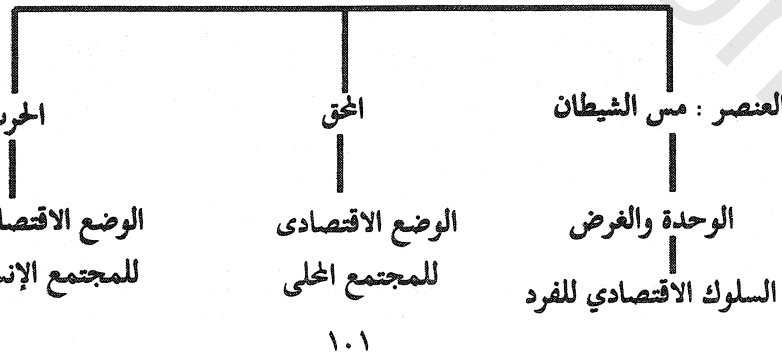

الفرع الثانى: الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى التشريعى - البقرة

كشفت دراسة آيات الربا فى سورة البقرة عن أن هذه الآيات سبقتها آيات تتكلم عن الصدقة كما جاءت بعدها آيات تتكلم عن توثيق الدين ، الصدقة والدين كلاهما موضوع مرتبط بالاقتصاد . هكذا تكون آيات الربا جاءت محاطة ؛ أى مسبوقة ومتلوة بآيات موضوعها اقتصادى ، هذا ما نعتبره ممثلا للإطار الاقتصادى لآيات الربا . يعنى الإطار أنه احيط بآيات الربا . أما كونه تشريعيا فلأن الصدقة وتوثيق الدين قد اعطيا حكما فهما تشريعات اقتصادية وليسا افكارا اقتصادية عامة . وقد عرضت الموضوعات الاقتصادية مغلفة بعناصر عقيدية وهذا هو معنى أنه إطار عقيدى .

الربا موضوع مرتبط بالاقتصاد ، أو هو موضوع اقتصادي ، مجئ هذا الموضوع الاقتصادى مسبوقا ومتلوا بتشريعين اقتصاديين أى محاطا إحاطة كاملة إن هذا يمثل إعجازا فى المنظومة المعرفية لآيات الربا كما جاءت فى القرآن الكريم . هذا النسق القرآنى فى ترتيب الموضوعات هو نسق معجز لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله . يمكن عر ض هذه الفكرة فى لوحة بيانية ، اللوحة البيانية (٢٥) وذلك لتجسيد الإعجاز فى المنظومة المعرفية .

اللوحة البيانية (٢٥)

الإطار التشريعي الاقتصادى لآيات الربا – البقرة

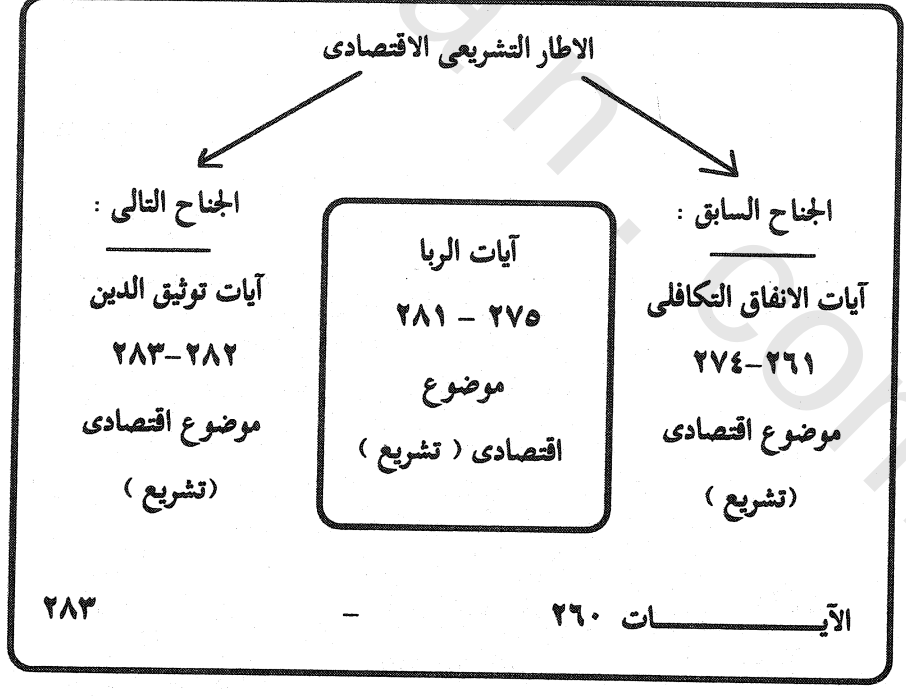

نحاول أن نتعمق أكثر فى دراسة هذا الإطارالاقتصادى بشقيه السابق واللاحق . آيات الانفاق للتكافل الاجتماعى التى جاءت سابقة على آيات الربا تبدأ بالآية ٢٦١ وتنتهى بالآية ٢٧٤ ، وحيث تبدأ آيات الربا بالآية ٢٧٥ . نحاول أن نجيب على سؤال : لماذا جاء موضوع التكافل الاجتماع قبل موضوع الربا وجاء توثيق الدين بعده ؟

أولا : موضوعا الإطار الاقتصادى التشريعى: التكافل وتوثيق الدين .

الربا سلوك فيه أنانية وأثرة الشخص الذى يقبل الربا ويتعامل به هو فى حقيقة الامر يحاول أن يؤمن ويضمن لنفسه دخلا بصرف النظر عما يصيب الاخرين الذين تقع عليهم هذه المعاملة . يمكن القول بعبارة أخرى: إن الذى يتعامل بالربا يفضل مصلحته الخاصة على مصلحة المجتمع . فى مقابل ذلك فإن الشخص الذى يقبل تشريع تحريم الربا أى يقلع عن التعامل بالربا أولا يتعامل به هذا الشخص فى حقيقة الأمر يكون فى انسجام وتناغم مع المجتمع؛ إنه يقبل المشاركة فى الربح والخسارة ؛ أى أنه يحس بالآخرين ويعتبرهم شركاء معه فى المجتمع .

يمكن من هذا المعنى فهم لماذا جاء موضوع التكافل الاجتماعى سابقا على موضوع الربا ، أى سابقا على الآيات التى جاء بها تحريم الربا . آيات التكافل الاجتماعى قصد بها تربية الفرد على الاحساس بالغير ، تربيته على أن يعتبر مصلحة المجتمع كما يعتبر مصلحته . الفرد الذى يتربى على ذلك هو الفرد الذى يهيأ لقبول تحريم الربا .

لزيادة التوضيح وزيادة التأكيد : إن الفرد الذى يقبل بحرمة الربا هو الذى تربى.على أن يتفاعل بإيجابية مع المجتمع . الانفاق للتكافل الاجتماعى يعتبر أقوى أداة لهذه التربية الاجتماعية . الانفاق للتكافل الاجتماعى يعنى أن الفرد بلغ به احساسه بمجتمعه أنه يجعل له حقا فى ثروته الخاصة . الفرد الذى يقبل أن يقتسم ثروته مع مجتمعه فى صورة انفاق للتكافل الاجتماعى هو الفرد الذى يقبل تشريع تحريم الربا على الرغم من أن هذه المعاملة تؤمن له دخلا دون احتمال خسارة .

الشق الثانى فى الإطارالاقتصادى الذى أحاط بآيات الربا فى سورة البقرة موضوعه توثيق الدين وقد جاء تاليا لآيات الربا . السؤال الذى يثار فى هذا الصدد هو لماذا جاء موضوع توثيق الدين تاليا لموضوع الربا ؟

إجابة هذا السؤال تعتبر عنصرين . العنصر الأول الربا معاملة فيها مايبدو أنه مصلحة ظاهرة للذى يتعامل به لذلك فالشخص الذى يقبل التعامل بغير الربا يحتاج إلى أن يؤمن على ماله ؛ أيا كانت المعاملة التى يدخل طرفا فيها مع الغير . جاءت آيات توثيق الدين لتعطى له هذا النوع من أنواع الضمان .

العنصر الثانى : الربا قد يقع فى قروض الاستهلاك . والشخص الذى يقرض للاستهلاك تكون حاجته لضمان دينه آكد وأقوى لذلك جاءت آيات توثيق الدين بعد آيات الربا وقد جاءت بمثابة أن تقول لمن يقبل تحريم الربا ويقلع عن التعامل به إن مالك مضمون بأقوى صور الضمان الكتابى .

نقترح أن يعاد عرض اللوحة البيانية (٢٥) بحيث تتضمن الفكرة التى توقشت وهى أن آيات التكافل الاجتماعى السابقة على آيات الربا هى لتربية الفرد على الاحساس بالمجتمع والذى يستجيب لهذه التربية الاجتماعية أى ينمو عنده الاحساس بالغير هوالذى يقبل تشريع تحريم الربا ، وأن آيات توثيق الدين التالية لآيات الربا هى بقصد تأمين الذى قبل أن يقرض بدون فائدة على ماله الذى أقرضه . اللوحة البيانية (٢٦) تصور هذا المعنى .

اللوحة البيانية (٢٦)

هدف الاطار الاقتصادى التشريعى لآيات الربا – البقرة

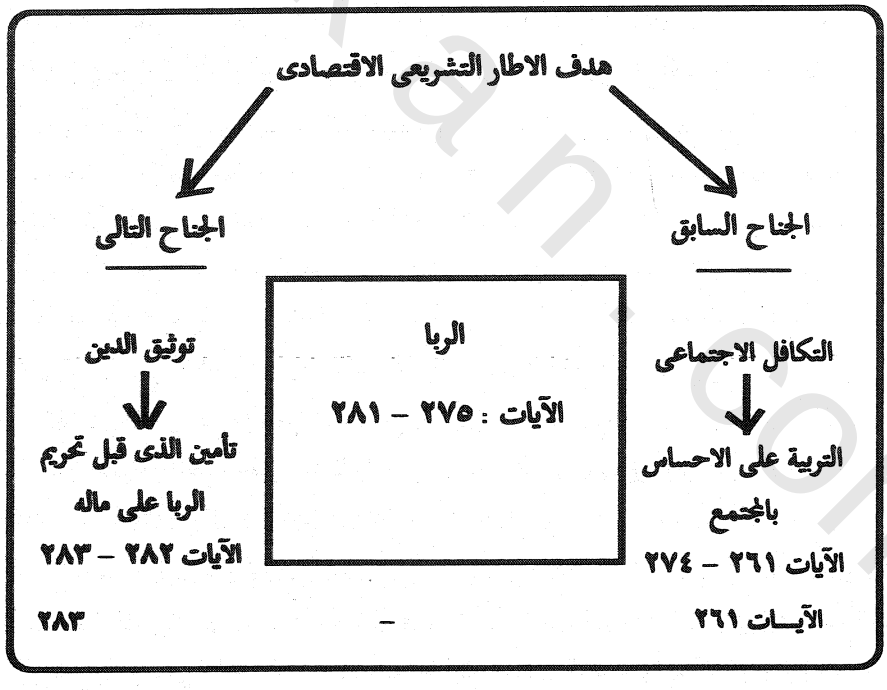

نواصل فى الفقرات التالية التحليل المتعمق لآيات الإطار الاقتصادى التشريعى بشقيه السابق واللاحق وذلك بهدف استنتاج كل عناصر هذا الإطار وهذه العناصر تكون بدورها فاعلة على تحريم الربا وبعبارة أخرى يربط بها تحريم الربا .

ثانيا : الجناح السابق للإطار الاقتصادى التشريعى : التكافل

يقول الله سبحانه وتعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

الآيات التي سبقت هى آيات الجناح السابق للإطار الاقتصادي التشريعي. موضوع هذا الجناح هو التربية الاجتماعية للشخص الذى يخاطب بتشريع تحريم الربا . الموضوع الاجتماعى الذى وظف لخدمة هذه التربية هو الصدقة . وقد اشتملت الآيات على عناصر تعمل على تحقيق هذه التربية الاجتماعية بحيث تكون على أعلا مستوى سلوكى ممكن . فيما يلى نحاول تحليل الآيات لاستنتاج هذه العناصرالتربوية .

الآية ٢٦١ شبهت الإنفاق التكافلى بالحبة التى يتضاعف ناتجها إلى سبعمائة ضعف ، بهذا ربطت الصدقة بالوفرة والخير ، ختام الآية يعطى الأمل لوفرة وخير أكثر بوعد من الله سبحانه وتعالى : والله واسع عليم .

تضيف الآيات ٢٦٢ – ٢٦٤ للتربية النفسية الاجتماعية عناصر دقيقة للغاية تتعلق بالسلوك الشخصى بين معطى الصدقة وآخذها ، تلزم الآيات بمنع المن والأذى بالقول ، بل تلزم بالقول بالمعروف ، وقد احتوت الآيات على تشبيه بالغ التأثير بشأن هذا العنصر الشخصى الدقيق .

الآية ٢٦٥ تعتبر الانفاق الاجتماعى هو لمرضاة الله ، وأى نفس لا تهتز بعنف أولا تستجيب لما يرضى الله ، ختام الآية يعلن أن الأمر كله تحت رقابة الله " والله بما تعلمون بصير " .

الآية ٢٦٦ تدخل أسرة المتصدق ضمن عناصر التأثير فى التربية النفسية الاجتماعية ، تخاطب الآية المتصدق بذريته الضعيفة ، الفرد لا يملك إلا أن يستجيب إذا خوطب بأولاده خاصة إذ كانوا صغاراً ومحتاجين ، فإذا كانت الآية السابقة ٢٦٥ خاطبت المتصدق بمرضاة الله فإن الآية التى معنا تخاطبه بأسرته وأيا كانت طبيعة الإنسان فإن هذين العنصرين هما الفاعلان عليه .

الآية ٢٦٧ تدخل نوعية الصدقة ضمن عناصر التربية النفسية الاجتماعية « انفقوا من طيبات ما كسبتم » . وتذييل الآية فيه تهديد ضمنى " والله غنى " ثم فيه اغراء "حميد"

تدخل الآية ٢٦٨ فى التربية النفسية الاجتماعية التخويف من الشيطان الذى يعد بالفقر ، الآية تحمل بصفة خاصة البشرى للغنى المتصدق .

الآية ٢٦٩ تدخل الحكمة ، وقيل عن الحكمة إنها تعنى اتقان العمل وأجراء الفعل على وفق ذلك العلم ، وهى مشتقة من الحكم وهو المنع لأنها تمنع صاحبها من الوقوع فى الخطأ والضلال [١] ووروودها فى هذا السياق يدخلها ضمن عناصر التربية النفسية الاجتماعية .

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، جـ٣ ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ ، ص ٦١

تدخل الآيتان ٢٧٠ و٢٧١ فى التربية النفسية الاجتماعية علانية الصدقة وسريتها ، والمعيار الحاكم فى هذا الاختيار هو البعد الاجتماعى فى العلاقة بين الفقير والغنى .

الآية ٢٧٢ أدخلت المصلحة الخاصة للمتصدق ضمن العناصر وذلك للتأثير فى التربية النفسية الاجتماعية . فإذا كانت آيات سابقة أدخلت مرضاة الله والذرية فإن الآية التى معنا تدخل صراحة المصلحة الخاصة للمتصدق " وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ".

الآية ٢٧٣ تتكلم عن فئة من المحتاجين لا ينازع أحد فى احتياجها ، هذه الآية هي الآية قبل الأخيرة والمعنى الذى يستنتج من ادخال هذه الفئة أنها تمثل نداء للغنى قبل اعلانه بالعنصر الآخير . والعنصر الذى يستنتج من هذه الآية أن الغنى وضع أمام حالة يجد نفسه فيها فى انفعال نفسى مع الجوانب الاجتماعية فى البيئة المحيطة به .

الآية ٢٧٤ أعطت المتصدق عنصر الأمان " ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " وذلك فى إطار التربية النفسية الاجتماعية ، ومعقولية هذا الأمر شديدة الوضوح بل إنه وحده يمثل أحد عناصر الاعجاز المعرفى القرآنى . لقد تضمن عنصر الأمان أمرين : عدم الخوف وعدم الحزن وهذا أقصى ما يتمناه الإنسان لحياة آمنة .

بينت المناقشة السابقة الإطار الاقتصادى السابق على آيات الربا . إن موضوع الإطار هو التكافل ، ومجرد وضع التكافل سابقا على الربا أو ممثلا لإطار يحيط به هو اعجاز معرفى للقرآن ، ثم إن هذا الموضوع الاقتصادى جاء فى صورة تشريع ، أى أخذ حكما وليس مجرد فكرة اقتصادية عامة ، وكونه تشريعا فإن وقعه أو تأثيره يكون مؤكدا . هذا الأمر يمثل درجة أخرى فى الاعجاز فى المنظومة المعرفية القرآنية لآيات الربا . أيضا فإن العناصر التى ذكرت فى موضوع التكافل جاءت مستوعبة لكل العناصر التى يتصور أن تعمل لتحقيق الهدف من المجئ بالتكافل قبل الربا ، أو بعبارة أخرى لوضع التكافل مقابل الربا . إن الاعجاز المعرفى فى هذا الأمر يقينى .

ثالثا : جناح الإطار الاقتصادى التشريعى اللاحق : توثيق الدين

موضوع الإطار الاقتصادى اللاحق توثيق الدين ، جاء هذا الموضوع فى الآيتين ٢٨٢ و٢٨٣ . إن الهدف من هذا الإطار الاقتصادى هو تأمين الدائن على دينه ، ويمكن أن يمد القول بحيث يدخل فى التأمين أيضا كل معاملة مالية فيها متعاقدان .

يقول الله سبحانه وتعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ

رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

اشتملت الآيتان المذكورتان على عناصر تعمل على هدف موضوع الإطار بحيث تجعله يتحقق فى أعلا نموذج توثيقى ممكن . نحاول عرض تحليل رأسى للآيتين ليتضح هدفهما وكيف جاءا على نحو يتأكد تحقيقه .

تبدأ الآية ٢٨٢ بتوجيه الخطاب للذين آمنوا ولهذا الخطاب دلالته فعندما ينادى القرآن الكريم طائفة بهذه الصفة (الإيمان) فإن فى هذا إيحاء أو دلالة على أنهم يطيعون ما يؤمرون به . هكذا يمكن القول أن إفتتاح الآية بخطاب المؤمنين يحمل فى ذاته ضمنا وصراحة تأمين الدائن على دينه ، بعبارة أخرى تأمين طرفى المعادلة وذلك لأن التعامل بين مؤمنين بالله .

تشترط الآية فى الكاتب أن يكون عدلا ويمثل هذا أيضا عنصرا من عناصر تأمين طرفى التعامل ، بل إن هذا الكاتب ينبه إلى أنه يجب عليه أن يكتب كما علمه الله وماعلمه الله هو حفظ الحقوق وغير ذلك .

" وليملل الذى عليه الحق " هذا العنصر من عناصر تأمين الدائن أو طرفى التعامل هو معجزة قرآنية فى حد ذاته ، ذلك أن جعل المدين هو الذى يملى أفاد أمرين:

الأمر الأول : أن ما يمليه هو اعتراف منه بما أملاه لذلك يكون احتمال معارضته للدين المكتوب غير واردة فالمدين حسب هذا الشرط يؤخذ بما يقول .

الأمر الثاني : من المعروف أن المدين فى العادة في وضع أضعف من الدائن يجئ القرآن فيجعل الطرف الأضعف هو الذى يملى ما يكتب هذا بمثابة نفى شبهة اجبار المدين على ما هو غير حق عندما يملى الطرف الأقوى وهو الدائن .

" واستشهدوا شهيدين من رجالكم " اشتراط شاهدين يعمل على زيادة الضمان " من رجالكم " زيادة تأكيد لأنهم من المؤمنين الذين خوطبوا فى صدر الآية .

" ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا " هذا التحذير لمن يمتنع عن الشهادة يعمل هو أيضا على زيادة الضمان .

" ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله " هذا الجزء من الآية يعمل على تأكيد الضمان من جانبين ، الأول الأمر بالكتابة حتى وإن كان المبلغ صغيرا ، والثانى تحديد الأجل . هذا كله لتأكيد الضمان ولمنع المنازعات .

" ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم " إذا كان قد صدر أمر لمن يطلب للشهادة ألا يأبى فيجئ هذا الجزء فيؤمن الكاتب والشاهد من أى ضرر يمكن أن ينالهما بسبب اشتراكهما فى هذا الأمر ، بل إن قول الله تعالى" وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم " افاد بأن الأضرار بالكاتب والشهيد لا يقتصر عليهما وحدهما وإنما يشمل أيضا المتعاملين ، بل إنه يمكن الاستنتاج من " بكم " بهذا الخطاب الجماعي أن الاضرار بهما يصيب المجتمع كله .

" واتقوا الله ويعلمكم الله " هذا الجزء من الآية جعل كل ما يتعلق بتوثيق الدين كتابة واشهادا وغير ذلك كله مرتبط بتقوى الله ، وهذا أضاف العناصر الايمانية للضمان وذلك بجانب العناصر المادية التى سبقت .

" فرهان مقبوضة " أفاد هذا الجزء أنه فى حالة تعذر الكتابة فإنه يلزم اتخاذ اجراءات أخرى لضمان الحقوق وهى الرهان ، والرهن فى ذاته أقوى ماديا من الكتابة.

" وليتق الله رب ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه "

ختمت الآية الأولي (٢٨٢) بقوله تعالي" والله بكل شئ عليم " وختمت الآية الثانية (٢٨٣) بقوله تعالى" والله بما تعملون عليم " وبهذا وضع أمر الدين وتوثيقه كله تحت الرقابة الإلهية ، والذين خوطبوا فى صدر الآية الأولي (٢٨٢) بصفة الإيمان يعرفون معنى وأهمية الرقابة الإلهية .

رابعاً: العناصر المجمعة للإطار الاقتصادى التشريعي بجناحيه

يقترح تجميع عناصر الإطار التشريعى بجناحيه السابق واللاحق وذلك لتظهر الصورة الكلية لهذا الإطار بأهدافه والعناصر العاملة عليه وهذا بدوره يظهر على نحو أكد الاعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة البقرة .

تظهر اللوحة البيانية (٢٧) عناصر الإطار الاقتصادى التشريعى . دون أن نعيد المناقشة عن العناصر التي تظهر في هذه اللوحة حيث قد سبقت هذه المناقشة فإنه يستنتج أن المنظومة المعرفية لآيات الربا في سورة البقرة من حيث الإطار الذى أحاط بها جاءت على نحو معجز . إن العقل البشري له قدراته على التصور . والإطار الذى احاط بآيات الربا من حيث الموضوعين اللذين اختيرا ومن حيث العناصر التى عملت فيهما ، ومن حيث الهدف المراد بهذا الإطار – إن هذا الأمر كله فوق قدرات العقل البشرى في التصور . وهذا هو الاعجاز المعرفى الذى تحاول هذه الدراسة أن تظهره . إن أقصى ما يستطيعه العقل البشرى مع هذه المنظومة هو أن يتفهمها لا أن ينشئها .

اللوحة البيانية (٢٧)

عناصر الاطار التشريعى الاقتصادى لآيات الربا – البقرة

الإطار التشريعى الاقتصادى

الجناح السابق

هدفه

التربية الاجتماعية

العناصر

١- الوفرة الاقتصادية المترتبة علي الصدقة

٢- تربية الحس الإنساني الصحيح

٣- تحريك الحس بإدخال الأسرة

٤- تأمين معطي الصدقة بتقرير غني الله / المعطي

٥- الحث علي الصدقة بالوعد بالمغفرة

٦- الحث علي الصدقة بالمصلحة الشخصية

٧- الحث علي الصدقة بأمثلة تولد المشاعر العاطفية

٨- التأمين من الخوف والحزن

الآيات : ٢٦١ – ٢٧٤

آيات الربا

الآيات

٢٧٥-٢٨١

الجناح التالي

هدفه

تأمين المقرض

العناصر :

أ- التأمين المادي :

١- كاتب عدل

٢- المدين هو الذي يملي

٣- شاهدا عدل

٤- الأمر بقبول الشهادة

٥- حماية الكاتب والشاهد

٦- الرهان

ب – التأمين الإيماني :

١- الإيمان

٢- تقوي الله

٣- الرقابة الإلهية

الآيات ٢٨٢ – ٢٨٣

الآيات ٢٦١ – ٢٨٣

obeikan.com

الفرع الثالث : الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام - سورة البقرة

الدراسات القرآنية حول تناسب الآيات والسور كثيرة ومتنوعة . بعض هذه الدراسات يربط السورة كلها معا أو السورة بما قبلها وما بعدها . فى الدراسة التى نقدمها حول المنظومة المعرفية القرآنية لآيات الربا نحاول أن نتوسع إلى حد ما فى التعرف علي الآيات التى سبقت والتى تلت آيات الربا وذلك لاثبات علاقة التناسب بين موضوع هذه الآيات وموضوع الربا .

فى الفرع السابق أثبتنا علاقة التناسب بين آيات الربا والآيات السابقة عليها مباشرة وكذلك الآيات التالية لها مباشرة عرض هذا تحت عنوان الإطار العقيدى الإقتصادى التشريعى .

عندما نظر فى الآيات التى جاءت قبل وبعد آيات الإطار العقيدى الاقتصادى التشريعي بجناحيه السابق واللاحق تبين أن الحديث فيهاعن أمور عقيدية لها ارتباطها بأمور اقتصادية عامة ، بعبارة أخرى إن هذه الأمور العقيدية تحمل في ثناياها مضامين اقتصادية عامة . وكلمة عامة للمقابلة مع تشريعية فى الفرع السابق . نتقدم لدراسة هذا الإطار الذى سميناه الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام .

أولا الجناح السابق للإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام

يقول الله سبحانه وتعالى : فى سورة البقرة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

النظرة التحليلية للآيات الثلاث المذكورة تبين أن موضوعها هو خلق الحياة الدنيا أو ايجادها ثم انتقل من هذا الموضوع إلى الإحياء للآخرة .

الآية ٢٥٨ تضمنت الحوار بين نبى الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام وبين نمرود ، وكان ملكا جبارا [1] ، وموضوع الحوار هو قضية الإحياء أو الخلق ، هذه هى القضية الأساسية . قضية أخرى ربطت بموضوع الخلق هي قضية التحكم فى الكون وتسيير اجرامه ، وأعطى مثل بالتحكم في تسيير الشمس أكبر الاجرام المشاهدة بالنسبة للمخاطبين بالقرآن الكريم عند نزوله .

عرضت الآية ٢٥٩ أيضا لقضية الخلق أو قضية الاحياء واتجه الحديث فيها إلى إعادة الإحياء فى الآخرة ولكن جاء فى ثنايا ذلك حديث عن الاحياء فى الدنيا بأمثلة من واقع الحياة وقد ختمت الآية بصفة من صفات الله وهى القدرة والتي ترتبط ارتباطا مباشرا بالتنفيذ .

الآية ٢٦٠ موضوعها أيضا قضية الإحياء والخلق وبدأ الحديث فيها عن الاحياء في الآخرة ولكن كان أيضا أمر الخلق والاحياء في الدنيا محل ذكر وختمت الآية بصفتين من صفات الله سبحانه وتعالى هما العزيز والحكيم ، والصفتان لهما ظهورهما الواضح فى قضية الخلق والاحياء .

خلق الله للعالم والإيمان به يدخل في العقيدة لهذا يمكن القول أن موضوع الآيات الثلاث داخل فى الأمور العقيدية ويكون العنوان المستخدم لهذه الفقرة وهو الإطار العقيدى الاقتصادى العام لآيات الربا قد فسر جزء منه وهو العقيدة .

جعل هذا الإطار متضمنا عنصرا اقتصاديا مع العنصر العقيدى له تفسيره ؛ إن الخلق يشمل كل اشكال الحياة اقتصادية وغيرها لهذا يكون مقبولا أو مبررا أن يعتبر الحديث عن خلق الحياة هو حديث أيضا عن خلق الجانب الاقتصادى فيها . يعمل ايضا علي تبرير ادخال العنصرالاقتصادى فى تسمية هذا الاطار الأمثلة التى جاءت فى الآيات الثلاث ، إنها كلها أمثلة من واقع الحياة الاقتصادية لكن الأمور الاقتصادية التي ذكرت ليست من قبيل التشريعات الاقتصادية وإنما هي امور اقتصادية عامة .

ثانيا : الجناح التالى للإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادي العام

موضوع الآيات التالية مباشرة لآيات الربا هو توثيق الدين وهما الآيتان ٢٨٢ و٢٨٣ . وقد اعتبرت الآيتان تمثلان الإطار الاقتصادى التشريعى التالى لآيات الربا .

فى الآية ٢٨٤ يقول الله سبحانه وتعالى

لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

(١) ابن عاشور ، المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٢ .

يبين النظر فى هذه الآية أنها تثبت ملكية الله سبحانه وتعالى ، ملكيته لكل شئ ، فهى ملكية عامة مطلقة شاملة ، وهي ملكية هيمنة وتصرف ، وهي ملكية تسبق ملكية أى كائن وتتلوها ؛ وهى ملكية أزلية فى القدم وباقية للأبد .

عندما تستخدم كلمة ملكية فإنها تحيل بطريقة مباشرة وقريبة إلى الاقتصاد . هذا المعنى الاقتصادي للملكية وارد فى الآية ضمن انواع اخرى لملكية الله ، يمكن بناء على هذا أن نقول إن الآية التي معنا موضوعها اقتصادى ، او على الاقل مرتبطة بالاقتصاد.إعادة النظر فى الآية ٢٨٤ يبين أن العنصر الاقتصادى فيها ليس من قبيل الاقتصاد التشريعى وإنما هو اقتصاد عام فيه عنصر عقيدى ، ذلك أن الحديث فى الآية عن الملكية لله فالأمر مرتبط بالعقيدة وتفريع عليها .

العنصر العقيدى يظهره أكثر من معنى جاء فى الآية ؛ فالآية فيها " وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله " فهذه إشارة للرقابة الإلهية ، وفى الآية ايضا " فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير " هذا أيضا عنصر عقيدى ، وأخيرا " والله على كل شئ قدير " فهذا أيضا أمر عقيدى .

إذا قارنا بين موضوع الآيتين ٢٨٢ و٢٨٣ وموضوع الآية ٢٨٤ فإننا نجد أن موضوع الآيتين اقتصادى تشريعى بينما موضوع الآية ٢٨٤ هو اقتصادى عام مع عنصر عقيدى . لذلك إذا كنا قد اعتبرنا الآيتين تمثلان الإطار الاقتصادى التشريعى التالى لآيات الربا فيقترح أن تعتبر الآية ٢٨٤ تمثل الإطار العقيدى الاقتصادى العام التالى لآيات الربا ، وهذه التسمية مبررة وذلك لوجود عنصر اقتصادى عام بجانب العنصر العقيدى.

ثالثا: العرض البيانى للإطار الاقتصادى التشريعى والإطار الاقتصادى العام .

نقترح أن نعيد عرض اللوحة البيانية التي انتهينا إليها عند الحديث عن الإطار الاقتصادى التشريعى ، وبحيث تطور هذه اللوحة لتسع الذي نعرضه الآن وهو الإطار العقيدى نو المضمون الاقتصادى العام .

اللوحة البيانية (٢٨) هى اللوحة المطلوبة وهى تظهر أن الآيات التى موضوعها الربا جاءت محاطة بإطارين ، الأول إطار عقيدى اقتصادى تشريعى والثانى إطار عقيدى اقتصادى عام ، وكلا الإطاريين له جناح سابق وجناح تال .

اللوحة البيانية (٢٨)

الاطار الاقتصادى التشريعى والاطار الاقتصادى العام

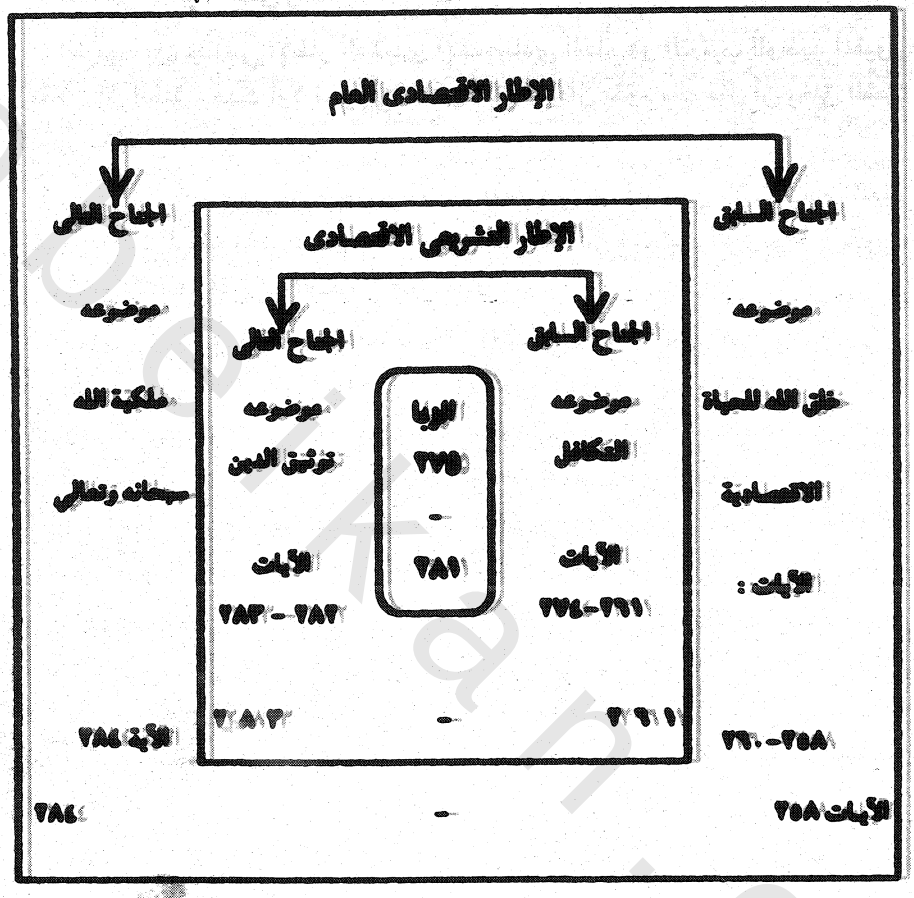

نقترح أن ننظر أعمق فى اللوحة (٢٨) . إنها تظهر ثلاثة موضوعات الربا والإطار الاقتصادى التشريعى والإطار العقيدى الاقتصادى العام . نحاول التقدم فى الدراسة بحيث تظهر الروابط والعلاقات بين الموضوعات الثلاثة . سبق أن اشير إلى الروابط والعلاقات بين موضوع الربا وبين موضوع الإطار الاقتصادى التشريعى بشقيه السابق واللاحق . لذلك فإن عرض الروابط والعلاقات بين الإطار العقيدى الاقتصادى العام والموضوعين الآخرين يستكمل الدراسة المتعلقة بالروابط .

يتكون الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام من جناحين : السابق وموضوعه الخلق والاحياء متضمنا العنصر الاقتصادي والتالى وموضوعه ملك الله المطلق والشامل متضمنا العنصر الاقتصادى . الرابطة واضحة بين الخلق والملك . إن

العقل السليم لا يشاح فى أن من يخلق هو الذى له الحق أن يملك . إن هذا ينطبق فى دنيا الناس فما بالنا بعالم الألوهية ؛ حيث القدرة على الخلق مطلقة ، لذلك يكون حق الملك مطلق وعام وشامل وأزلى ودائم . بناء على ذلك يربط بين جناحى الإطار العقيدى الاقتصادى العام : الخلق والملك .

الترتيب بين جناحى الإطار العقيدى الاقتصادى العام هو الترتيب الوحيد المقبول عقلا ، إن الخلق يحدث أولا ثم يجئ الملك ولا يتصور أن يقوم ملك قبل أن يخلق الشئ الذى يمتلك .

نصل إلى نتيجة هى أن عنصرى الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام تقوم بينهما الروابط التى يسلم بصحتها عقلا ، كما أن الترتيب الذى جاء فيه وهو الخلق ثم الملك هو الترتيب الوحيد المقبول عقلا .

العنصر السابق فى الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام وهو الخلق له روابطه مع العنصر السابق في الإطار الاقتصادى التشريعى وهو التكافل الاجتماعى ، العنصران متجاوران فى الآيات . الفطرة السليمة تقبل أن الذى يخلق له الحق فى أن يشكل العلاقات فى المجتمعات التى يخلقها علي النحو الذى تشاؤه إرادته وفق علمه الأزلى ، فأن يوجد فى المجتمع فقير وغنى فهذا وفق إرادة الله والخالق لذلك هو الذى جاء أمره في الآيات التي أمرت بالانفاق للتكافل الاجتماعى .

مجئ آيات التكافل الإجتماعى بعد آيات الخلق يتضمن رسالة صريحة هى أن الخالق سبحانه وتعالى هو الذى يأمر بما جاء فى آيات التكافل ، ولأنه هو الخالق فتجب الطاعة له ولأنه هوالخالق فإنه أعلم بالمصلحة فى الذى يخلقه ، وخلق مجتمعات فيها غنى وفقير فإن هذا لمصلحة وأنه شرع التكافل فى هذه المجتمعات فإن هذا لمصلحة .

يظهر هذا التحليل أنه توجد علاقات وروابط بين الخلق وهو العنصر السابق فى الإطار العقيدى الاقتصادي العام والتكافل وهو العنصر السابق في الإطار الاقتصادى التشريعى ، كما يستنتج من هذا التحليل أن مجئ الحديث عن الخلق أولا ثم مجئ الحديث عن التكافل بعده هو الترتيب الوحيد المقبول عقلا ، إن حق التدخل فى تنظيم المجتمع هو حق مرتب على خلق هذا المجتمع .

تشريع الربافيه آخر درجات النهى وهو التحريم ، وهو نهى يمس ما يبدو أنه حرية الشخص فى التصرف في ملكيته أو ما هو موضوع تحت تصرفه لذلك فإن هناك حاجة قوية لأن يربى الفرد مسبقا على سلوكيات تعمل على ما فوق (الأنا) وبحيث يهيأ لقبول تشريع الربا وهو على النحو الموصوف .

الآيات السابقة مباشرة على الربا وموضوعها التربية النفسية الاجتماعية للفرد مثلت الإطار الاقتصادى التشريعى المجاور لآيات الربا وقد سبق عرض هذا الموضوع .

العنصر السابق فى الإطار العقيدى الاقتصادى العام وموضوعه الخلق متضمنا البعد الاقتصادى هذا الموضوع ايضا يعمل على ضبط سلوكيات من يتلقى تشريع تحريم الربا ، وليس الأمر هنا قاصرا على ضبط السلوك المادى وحده وإنما يشمل أيضا الجوانب الاعتقادية . إن الرسالة التى تعطيها الآيات التى تتكلم عن الخلق وإعادة الاحياء لمن يتلقى تشريع تحريم الربا هي أن الذى يأمر بتحريم الربا هو الخالق للحياة بما فيها الحياة الاقتصادية وهو يعرف ما يجب أن تكون عليه مخلوقاته . على هذا يربط بين الآيات التى جاءت وموضوعها الخلق وبين آيات الربا . بعبارة أخري يربط بين الجناح السابق فى الإطار العقيدى الاقتصادى العام وموضوع الربا .

خلق الحياة كلها بما فيها الحياة الاقتصادية والتكافل الاجتماعى على مستوى المجتمع (المحلى) وتحريم الربا ، هذه الموضوعات الثلاثة نحس فيها تدرجا منطقيا من حيث الاتساع . الخلق هذا على مستوى العالم كله ، التكافل هو على مستوى مجتمع محلى . إن هنا تدرج من العالم إلى المجتمع المحلى ، ثم يصل الأمر إلى الفرد الذي يوجه إليه تشريع تحريم الربا .

العنصر التالى فى الإطار العقيدى الاقتصادى العام موضوعه الملكية ، هذا العنصر له روابطه مع العنصرالسابق فى إطاره وموضوعه الخلق وقد عرضنا هذه الرابطة .

موضوع الملكية له ارتباطاته بموضوع التكافل ذلك ان التكافل هو قضية مثارة بين من يملك ومن لا يملك . لذلك يكون متلائما مع إثارة قضية التكافل أن تعرض قضية إيمانية متعلقة بالمالك الحقيقى وهو الله سبحانه وتعالى .

تشريع الربا يبدو فى ظاهره أنه قيد على حرية وتصرف المالك فى ملكيته أو ما هو موضوع تحت تصرفه لذلك يكون متلائما مع هذا التشريع أن تعرض معه قضية إيمانية تحدد المالك الحقيقى الذى له الحق أن يحدد أوجه واشكال التصرف وهو الله سبحانه وتعالى .

الدَّين هو ايضا قضية ملكية ، لذلك لاءم ان يعرض مع هذه القضية قضية إيمانية يتحدد فيها المالك الحقيقى الذى يعطى ويؤمن .

يمكن القول عند هذه المرحلة من المناقشة عن المنظومة المعرفية لآيات الربا والأطر المحيطة بها أن هذه المنظومة من حيث الموضوعات التى جاءت سابقة على آيات الربا وكذلك الموضوعات التى جاءت تالية لها وايضا الترتيب فى عرض هذه الموضوعات هذا الامر كله جاء على نحو يعجز العقل البشرى عن انشائه بداية وإنما دور العقل البشرى

هو أن يتفهمه بعد أن جاء به القرآن الكريم على هذا النحو . وهذا هو الاعجاز القرآنى فى المنظومة المعرفية لآيات الربا .

الفرع الرابع : الإطار العقيدى البحت لآيات الربا - البقرة

التوسع في دراسة السياق فى القرآن الكريم منهج معمول به لدى بعض المشتغلين بالتفسير لذلك لا حرج منهجيا أن نحاول أن ننظر فى آيات جديدة محيطة بآيات الربا وذلك بهدف أن نكتشف رابطة بينها وبين آيات الربا متضمنة الإطارين اللذين سبق عرضهما وهما الإطار العقيدى الاقتصادى التشريعى والإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام .

اعمالا لهذا المنهج المتوسع فى دراسة السياق فقد نظر فى الآيات السابقة والتالية لآيات الإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام وقد تبين أن الآيات ٢٥٥ – ٢٥٧ وهى السابقة على آيات الاطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام موضوعها عقيدى بحت وكذلك تبين أن الآية ٢٨٥ وهى التالية للإطار العقيدى ذو المضمون الاقتصادى العام موضوعها عقيدى بحت لذلك يكون مقبولا عقلا ان يستنتج أن هذه الآيات السابقة واللاحقة تكمل الأطر المحيطة بآيات الربا أى تكمل أو تغلق دائرة من الآيات المحيطة بآيات الربا .

القبول العقلى لهذا الإرتباط يدعمه أن سلسلة الأطر تكون على النحو الآتى : اطار عقيدى بحت وإطار عقيدى ذو مضمون اقتصادى عام وإطار عقيد اقتصادى تشريعى ثم يجئ الربا هكذا تكتمل دائرة الأطر المحيطة بآيات الربا . هذا الكمال فى الأطر يقوم أيضا دليلا على الاقتراح باعتبار الآيات ٢٥٥ – ٢٥٧ والآية ٢٨٥ تمثل الإطار العقيدى البحت المحيط بآيات الربا .

أولا : الجناح السابق للإطار العقيدى البحت

يقول الله سبحانه وتعالى :

اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ سورة البقرة

تبدأ الآية ٢٥٥ بتقرير وحدانية الألوهية فهى تقرر أنه لا إله إلا الله (سبحانه وتعالى) وتورد الآية بعد ذلك صفات لله عز وجل وكذلك أفعال هي من خصائص الألوهية .

تقرر الآية ٢٥٦ الحرية الدينية والارتباط بين هذه الآية والتي قبلها هو فى أعلا درجة من المعقولية ذلك أن الآية السابقة موضوعها وحدة الألوهية بخصائص الالوهية المسلم بها وبعدها تجئ الآية ٢٥٦ لتقرر حرية الاعتقاد ، والاختيار فى هذه الحالة يكون محسوما لصالح الرشد فى القرار بعد السبق ببيان خصائص الألوهية .

موضوع الآية ٢٥٧ متعلق أيضا بالألوهية هذه الآية تعطى تفصيلات عن فريقين : أولياء الله وأولياء الشيطان هذان الفريقان يناظران الفريقين المذكورين فى الآية ٢٥٦ ، وهما فريق الرشد وفريق الغى ؛ أى أن الآيتين مرتبطتان .

يتبين أن الآيات الثلاث ٢٥٥ – ٢٥٧ موضوعها واحد وهو الألوهية لذلك يتقرر أنها مرتبطة معا ويكون مقبولا أن تعتبر أنها تمثل وحدة واحدة ، وباللغة التى تستخدم فى هذا البحث بأنها تعتبرا إطارا ، وهو إطار موضوعه العقيدة لذلك سميت الإطار العقيدى البحث .

ثانيا : الجناح التالى للإطار العقيدى البحت

يقول الله سبحانه وتعالى :

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

تقرر هذه الآية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله أى أن موضوعها أمر عقيدى بهذا فإن ربطها أو جعلها فى إطار واحد مع الآيات ٢٥٥ – ٢٥٧ يكون له تبريره العقلى .

نقترح إعادة عرض الآيات ٢٥٥ – ٢٥٧ والآية ٢٨٥ وهذا العرض سوف يبين الإرتباط القوى بين هذه الآيات جميعها .

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ . . . . . .

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

إعادة قراءة هذه الآيات يبين أنها مرتبطة معا وبحيث لا يبدو الانتقال من الآية ٢٥٧ إلى ٢٨٥ أنه انتقال من موضوع إلى موضوع آخر وإنما هو موضوع واحد وهو موضوع عقيدى . هذا الارتباط القائم بين هذه الآيات يجعلنا نعتبرها وحدة واحدة ثم إن هذا الارتباط بين هذه الآيات ، ٢٥٥ – ٢٥٧ و٢٨٥ ييسر قبول الاقتراح أن ما بين هذه الآيات أى الآيات ٢٥٨ – ٢٨٤ يندرج داخل الإطار العقيدى البحت ، أى ما يعمل عليه الموضوع الذى جاء بهذا الإطار .

النتيجة التى يصل إليها البحث من خلال المناقشة السابقة هى أن موضوع الآيات ٢٥٥ – ٢٥٧ والآية ٢٨٥ واحد وهو موضوع عقيدى . بهذا يكون قدم تفسير وتبرير لجعل هذه الآيات تمثل إطارا واحدا هو الإطار العقيدى .

الذى يتبقى ويحتاج إلى تفسير هو الربط بين هذا الإطار العقيدى البحت والإطار العقيدى الاقتصادى العام والإطار العقيدى الاقتصادى التشريعى ثم آيات الربا .

الآيات ٢٥٥ – ٢٥٧ موضوعها عقيدى بحت والآيات ٢٥٨ – ٢٦٠ موضوعها عقيدى ذو مضمون اقتصادى عام والآيات ٢٦١ – ٢٧٤ موضوعها عقيدى اقتصادى تشريعى ثم تبدأ آيات الربا بالآية ٢٧٥ . هذه السلسلة من الأطر فى ذاتها معجزة وهي تضع أمر الربا فى مرحلة فى التسلسل بحيث أن الشخص الذى يتشرب القرآن الكريم ويتدرج إيمانيا معه يصل إلى آيات الربا وقد تشكل وجدانه تشكيلا إيمانيا صحيحا بحيث يقبل تشريع تحريم الربا .

نحاول أن نزيد فى ايضاح هذا الأمر إن الربا بلاء ابتليت به الإنسانية قديما فهو أمر موغل فى التاريخ وأيضا فإنه يمثل علاقة بين طرفين والربا موغل فى قضية الصراع بين الغنى والفقير والقوى والضعيف ، ثم ان الله جلت قدرته علم أن الربا سيكون من أشد الابتلاءات التى سيبتلى بها الإنسان على نحو ما هو موجود فى المجتمعات المعاصرة ، يضاف إلى كل ذلك أن تشريع تحريم الربا يبدو وأنه تدخل فى حرية الشخص فى التصرف فى ثروته الخاصة على النحو الذي يراه وليس على النحو الذى حدده له الشرع .

لما كان الربا على هذا النحو لذلك جاء في القرآن الكريم موضوعا في هذه السلسلة من الأطر وهذه السلسلة من الأطر هي سلسلة من التربية الإيمانية للشخص الذى يخاطب بتشريع تحريم الربا .

الآيات التي تتحدث عن الربا هى الآيات ٢٧٥ – ٢٨١. بعدها جاءت آيات الإطار العقيدي الإقتصادى التشريعى ، الآيتان ٢٨٢ و٢٨٣ ، والمعقولية واضحة وقوية بين آيات الربا الذى هو موضوع اقتصادى وآيات الإطار العقيدى الاقتصادى التشريعى التالى ، إن الأمر كله تشريعات اقتصادية ، ثم جاءت الآية ٢٨٤ وهى تمثل الجناح التالى للإطار العقيدى نو المضمون الاقتصادى العام . إن العنصر العقيدى بدأ يظهر متضمنا معه العنصر الاقتصادى . هكذا لم يتم الانتقال المفاجئ من التشريع الاقتصادى إنما جاء الانتقال متدرجا ثم تجئ الآية ٢٨٥ وهي تمثل الإطار العقيدى البحت ويكون ادخال أمر العقيدة جاء أيضا متدرجا .

نعتقد أنه بهذا التوضيح يكون قد ربطت سلسلة الأطر الثلاثة المحيطة بآيات الربا بعناصرها الستة وكذلك ربطت كلها بآيات الربا .

لزيادة توضيح الربط بين الموضوعات فى هذه السلسلة من الأطر نواصل التحليل . الآيات ٢٥٥ – ٢٥٧ موضوعها الألوهية بصفاتها القاهرة والمسيطرة وجاء في سياقها الحديث عن الرشد والغى و ولاية الله وولاية الطاغوت انتقل القرآن الكريم من موضوع الألوهية بصفة عامة إلى خلق الله للحياة بما فيها الحياة الاقتصادية (الآيات ٢٥٨ – ٢٦٠) ثم انتقل من خلق العالم على النحو الاجمالى الموسع إلى مجتمع بعينه واختير التكافل الاجتماعي موضوعا للتشريع على هذا المستوى (الآيات ٢٦١ – ٢٧٤) ثم جاءت آيات الربا ٢٧٥ – ٢٨١ لتعمل عليها الموضوعات الثلاثة السابقة .

بعد آيات الربا تجئ آيات توثيق الدين ؛ الآيتان (٢٨٢ – ٢٨٣) وسبق بيان الملاءمة بين الموضوعين ثم جاءت آية ٢٨٤ وموضوعها ملكية الله سبحانه وتعالى وأخيرا تجئ الآية ٢٨٥ التي تعود بالأمر كله إلى الجانب العقيدى . والآية الاخيرة ابرزت إيمان الرسول والمؤمنين بما أنزل الله .

ثالثا : العرض البياني للأطر الثلاثة المحيطة بآيات الربا - البقرة

إن عرضا بيانيا لهذه الأطر الثلاثة يمكن أن يعمل على اظهار الهيكل العام للمنظومة المعرفية القرآنية لآيات الربا التى جاءت في سورة البقرة ويظهر هذا العرض البيانى في اللوحة (٢٩) .

اللوحة البيانية (٢٩)

المنظومة المعرفية لآيات الربا وللأطر المحيطة بها - البقرة

الفرع الخامس : أوجه اعجاز تجميعية للمنظومة المعرفية لآيات الربا - البقرة .

تضمنت الفروع السابقة فى هذا المبحث عرضا ومناقشة لآيات الربا في سورة البقرة وقد عرضت تحت عنوان آيات السياق الداخلى ، ثم عرضت الأطر الثلاثة المحيطة بآيات الربا . فى خلال العرض والمناقشة لموضوعات الفروع الأربعة السابقة كان يشار إلى عناصر إعجاز في المنظومة المعرفية والأطر المحيطة بها .

يعقد هذا الفرع ليخصص بكامله لتجميع أوجه اعجاز جديدة فى المنظومة موضع الدراسة وذلك من خلال نظرة عامة كلية تحاول أن تجمع كل العناصر الفاعلة فى هذا الإعجاز . وسوف يعمل على تجنب التكرار فى العرض ما أمكن وذلك لتظهر عناصر جديدة من هذا العرض التجميعى .

أولا : الاعجاز في ترتيب الأطر

لقد جاءت آيات الربا محاطة بأطر رتبت موضوعاتها على النحو الآتى : إطار عقيدى بحت يليه إطار عقيدى اقتصادى من قبيل الافكار العامة يليه إطار عقيدى اقتصادى تشريعى ثم تجئ آيات الربا وهى تشريع لموضوع اقتصادى .

بعد آيات الربا جاء الإطار التالى مباشرة إطارا عقيديا اقتصديا تشريعيا يليه اطار عقيدى اقتصادى من قبيل الافكار العامة ثم تغلق الدائرة باطار عقيدى بحت .

ترتيب الموضوعات على هذا النحو فيه درجة تنسيق وانسجام وتآلف فوق أن يعمله العقل البشرى وكل دور العقل البشرى فيه هو محاولة أن يتفهمه ويستوعبه . هذا وجه للاعجاز في المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة البقرة .

ثانيا : الاعجاز فى العنصر العقيدى

العنصر العقيدي السابق على آيات الربا يتعلق بوحدانية الله واثبات صفات له من قبيل العلم والقدرة والولاية المطلقة على البشر والعنصر العقيدى المقابل له والذى جاء تاليا لآيات الربا يتعلق باثبات ايمان الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنين . إن الاعجاز فى هذا الإطار العقيدى يظهر فى أكثر من وجه . لقد جاء العنصر العقيدى سابقا على آيات الربا بدرجتين وجاء تاليا لها بدرجتين . إن الترتيب علي هذا النحو وبهذه الدقة غير المتناهية فوق طاقة البشر وهذا وجه للاعجاز فى هذه المنظومة ، ثم إن العنصر العقيدى افتتحت به الأطر وانتهت به فالأمر العقيدى هو البداية والنهاية وهو الحاكم العام فى الإطار .

العنصر العقيدى السابق يتعلق بوحدانية الله وولايته المطلقة على البشر ، المؤمن الذى يتربى على ذلك يقاد تلقائيا إلي تشريع تحريم الربا . إن التربية مرحلة سابقة على الأمر ، لأن التربية هى التى تضمن الالتزام بما يؤمر به. أما العنصر العقيدى التالى لآيات الربا فهو الإعلان بأن الرسول والمؤمنين آمنوا بما أنزل إليهم من ربهم ومما أنزل إليهم تشريع تحريم الربا . إن مجئ ولاية الله علي البشر سابقة على آيات الربا ومجئ ايمان الرسول والمؤمنين بما انزل إليهم من ربهم تاليا ، ترتيب مجئ الموضوعين على هذا النحو هو شكل من اشكال الاعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا .

ثالثا : الاعجاز فى العنصر الاقتصادى

جاء العنصر الاقتصادى إطارا محيطا بالربا علي النحو الآتى : بدأ بأفكار اقتصادية عامة تتعلق بخلق الله سبحانه وتعالى للاشياء مع احالة بصفة خاصة إلى الخلق فى مظاهره الاقتصادية بعد ذلك جاء تشريع اقتصادى متعلق بالتكافل الاجتماعى . هذين العنصرين يوجهان للعمل مباشرة على تربية المؤمن ، أولا تربية مع الله فى أنه الخالق وبيده تصريف الأمور ثم ثانيا تربية المؤمن مع مجتمعه بحيث يتفاعل مع هذا المجتمع تفاعلا إيجابيا مسئولا .

باكتمال التربية الاقتصادية العقيدية يصبح المؤمن فى حالة ملائمة لتلقى التشريع الإلهى فى الموضوع الاقتصاى المقصود وهو الربا . توجد ملائمة شديد وقوية بين التشريع الاقتصادى فى الإطار وهو التربية على الانفاق للتكافل الاجتماعى أى التربية على الاحساس الاجتماعي بالآخرين وبين تحريم الربا وحيث يعتبر الربا من أسوأ صور الاستغلال الاقتصادى من الانسان لأخيه الإنسان إن لم يكن أسوؤها . إن مجئ التربية على هذين المستويين مع الله ومع المجتمع ومجيئها سابقة على تشريع تحريم الربا ، ومجئ التربية مع المجتمع فى صورة تشريع اقتصادى وليست افكارا عامة – إن هذا كله يتضمن عناصر اعجاز فوق طاقة العقل البشرى .

بعد تلقى تشريع تحريم الربا يجئ تشريع اقتصادى وهو المتعلق بتوثيق الدين واثباته. والملائمة شديدة القوة والوضوح بين تحريم الربا وتوثيق الدين واثباته وذلك أن الذي يقرض قرضا حسنا بدون فائدة ينبغى أن يضمن له أنه سوف يسترد المبلغ الذى اقرضه ، لهذا السبب تجئ الآيتان التاليتان لتحريم الربا وفيهما التشريع الإلهي الاقتصادى الكامل والنموذجى لتوثيق الدين واثباته .

أخيرا يجئ العنصر الاقتصادى الرابع والأخير وهو تقرير ان الملكية لله سبحانه وتعالى . موضوع هذا العنصر هو اثبات أن الله هو مالك كل شئ . والملاءمة شديدة الوضوح وغاية في القوة بين هذا العنصر الاقتصادى وبين تحريم الربا ذلك أن الذى يقرض بدون ربا يضحي بالعائد المادى الذى كان من الممكن أن يحصل عليه ، لهذا يجئ هذا العنصر الذى يثبت أن الله مالك كل شئ وأن هذا المالك هو الذى شرع تحريم الربا وإذن فإنه قادر أن يعوض الذي أقرض بدون ربا من ملكيته الواسعة التى لا نهاية لها .

بتوثيق الدين واثباته بطريقة تضمن حصول المقرض بدون فائدة على حقه كاملا وبالايمان بإن الله هو مالك كل شئ وأنه هو الذى يعطى للمقرض والمقترض وأنه بهذا قادر من ملكه وملكيته سبحانه وتعالى وحده أن يعوض المقرض الذى أقرض بدون فائدة ، بهذين العنصرين تكتمل دائرة الضمان أى ضمان المقرض لحقه ، ضمان على المقترض ، وضمان من الله سبحانه وتعالى .

رابعا : الاعجاز فى التربية العقيدية الاقتصادية

يمكن أن يصور بيانيا تحريم الربا بين التربية والضمان وهذا ما تظهره اللوحة البيانية (٣٠) . فى هذه اللوحة يظهر الاطارالسابق وهو إطار التربية ويشتمل على عنصرين التربية الإيمانية الاقتصادية مع الله سبحانه وتعالى ثم التربية الاجتماعية الاقتصاية مع المجتمع ، ويظهر الإطار التالى وهو إطار الضمان ويشتمل على عنصرين التربية الاقتصادية الاجتماعية وذلك بتوثيق الدين ثم ضمان إيمانى اقتصادى بالاعتقاد بأن الله سبحانه هو المالك الحقيقى ومالك كل شئ .

اللوحة البيانية (٣٠)

التربية العقيدية الاقتصادية فى المنظومة المعرفية

لآيات الربا ولأطرها – البقرة

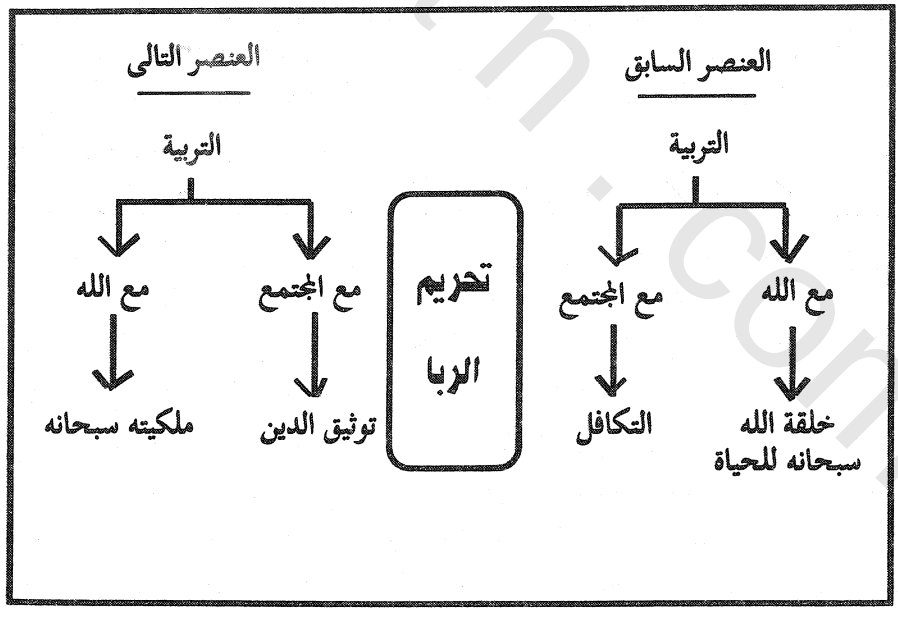

مجئ تحريم الربا محاطا بهذين الإطارين والمتضمنين للتربية الإيمانية والمجتمعية وللضمان البشرى والإلهى يمثل المعقولية الوحيدة فى الصياغة . إن الربا بلاء عرفته البشرية منذ حقب بعيدة فى التاريخ ثم إن الربا كسب سهل بدون عمل ففيه اغراء والنفس السوية هى التى تقاومه . لهذه العوامل ولغيرها فإن اقتلاع الربا يحتاج إلى تربية قوية ، تربية على الإلتزام بالتشريع الإلهي الذى يجئ لتحريم الربا ، وتربية على التآلف والتحاب والتواد مع المجتمع ، لهذا يجئ القرآن بتشريع تحريم الربا مسبوقا بنموذج تربوى كامل .

ثم إن مجئ الربا متلوا بضمانات للمقرض فهذا أيضا يمثل اعلا درجات المعقولية لأن الذى يتنازل عن الربا يحتاج إلى ضمان والآيات التى تلت تشريع الربا جاءت بهذا الضمان وجاء الضمان وافيا بالمقصود ؛ ضمان من المقترض بوثيقة مشهود عليها ومأمور بها من الله ومربى الشاهد اسلاميا وفق ما جاء فى الآية وضمان من الله المالك الذى يقدر إن شاء أن يعوض من ملكه وملكيته المقرض .

يمكن القول أيضا أن مجئ التربية سابقة على التشريع الاقتصادى ثم مجئ الضمان تاليا لتشريع تحريم الربا يمثل نموذج الصياغة الذى لا نظير له ، ذلك أن من الطبيعى أن يربى الانسان أولا لتتهيأ نفسه لقبول التشريع وبعد الإلتزام بالتشريع يؤمن بالضمان.

إن مجئ المنظومة المعرفية للأطر الاقتصادية المحيطة بآيات الربا فى سورة البقرة فى صياغة لا يستطيع العقل البشرى أن ينشئها وإنما كل دوره هو أن يتفهمها ، وبعد هذا التفهم يتفاعل إيجابيا معه ، إن النظم على هذا النحو معجز وهذا إثبات للفكرة التى نلح عليها فى هذه الدراسة وهي الاعجاز في المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

خامسا : الاعجاز في تفاعل العناصر الاقتصادية

قوة الاعجاز في الإطار الاقتصادى المحيط بآيات الربا تفتح بابا مستمرا لتداعى سلسلة من الافكار حول عناصر جديدة . فى إطار هذا التداعى للأفكار فإنه يقترح أن يعاد تصوير البيانات الواردة في اللوحة البيانية (٣١) بحيث تظهر وتبين ارتباطات جديدة في المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة البقرة .

اللوحة البيانية (٣١) تعيد التعبير عن الإطار الاقتصادى المحيط بآيات الربا فى سورة البقرة بعناصره الاربعة والتى تجمع فى موضوعين : التربية والضمان . علي نحو ما يظهر فى الشكل فإن تحريم الربا تعمل عليه أربعة عناصراقتصادية مرتبطة معا وتتبادل التأثير . العنصر الأول الذى يبدأ به هو عنصر اقتصادى عقيدى وهو أن

الله سبحانه وتعالى هوالخالق للحياة كلها ومنها الحياة الاقتصادية ، هذا العنصر الأول يعمل مباشرة على العنصرالاقتصادى الثاني وهو تشريع التكافل الاجتماعي ، إن الخالق للحياة كلها وللحياة الاقتصادية جميعها يشرع للحياة الاقتصادية التكافلية للمجتمع ثم يشرع للحياة الاقتصادية على مستوى الفرد (تشريع تحريم الربا).

بعد تشريع تحريم الربا يجئ العنصر الاقتصادى الثالث وهو توثيق الدين وهذا العنصر مرتبط بكل الوشائج مع العنصر الاقتصادى الثانى وهو التكافل الاجتماعي لان كلا منهما يستهف الأمن الاقتصادى للمجتع . بعد ذلك يجئ العنصر الاقتصادى الرابع وفيه يتقرر أن الملك كله لله سبحانه وتعالى وهذا العنصر تفريع وترتيب على العنصرالاقتصادى الأول وهو خلق الله سبحانه وتعالى للحياة كلها بما فيها الحياة الاقتصادية .

اللوحة البيانية (٣١)

تفاعل العناصر الاقتصادية فى المنظومة المعرفية لآيات الربا ولأطرها – البقرة

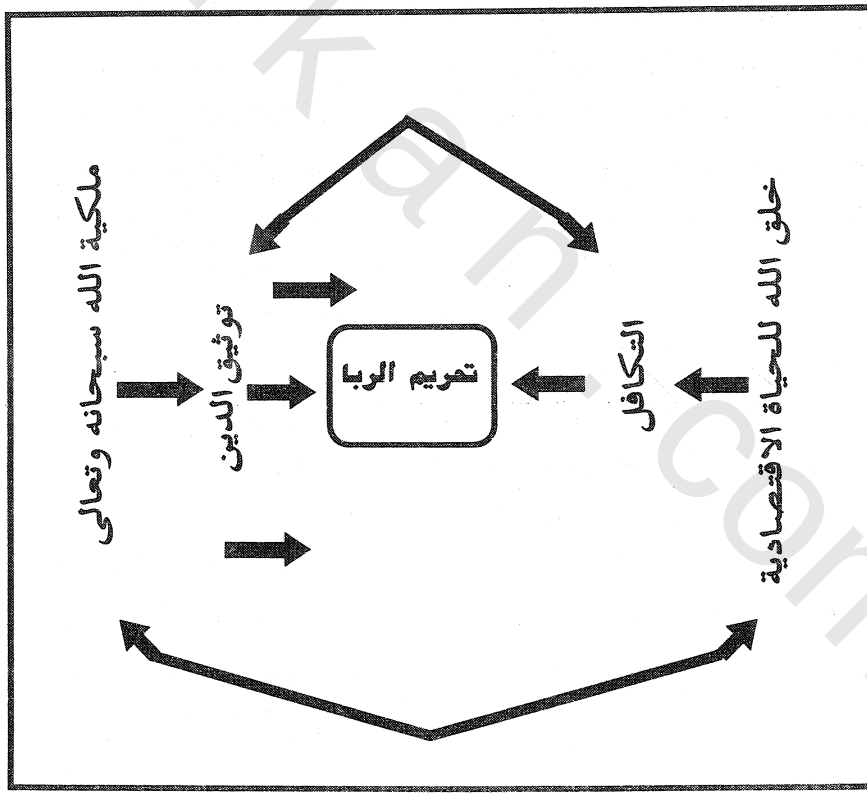

مجئ المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة البقرة مصاغة بحيث تعطي الإرتباطات بين عناصرها الاقتصادية على النحو الذى أظهرته المناقشة السابقة يجعلنا نكرر القول بأن المنظومة المعرفية موضع الدراسة فوق طاقة العقل البشرى أن ينشئها وإنما كل دور العقل البشرى معها أن يتفهمها ويستوعبها ثم يعملها وهذا وجه للإعجاز المعرفى للقرآن الكريم .

سادسا : الاعجاز فى التفاعل المتبادل بين العناصر الاقتصادية

التفاعل بين العناصر الاقتصادية فيه بعد آخر بجانب البعد الذى سبقت دراسته فى (خامسا) ، يتمثل هذا العنصر الجديد فى إن التفاعل متبادل بين العناصر الفاعلة فى الإطار .

تظهر اللوحة البيانية (٣٢) هذا التفاعل المتبادل بين العناصر الاقتصادية . خلق الله للحياة الاقتصادية له ارتباطه بالانفاق للتكافل الاجتماعى وهو التشريع الاقتصادى الذى يسبق مباشرة آيات الربا وقد سبقت مناقشة لهذا الارتباط . خلق الله للحياة الاقتصادية له ارتباطه ايضا بتوثيق الدين ، إن خالق الحياة الاقتصادية بما فيها من موارد وسلوكيات الكائن البشري الاقتصادية هوالذى شرع توثيق الدين على النحو الذى جاء فى الآيات . إن خالق الحياة الاقتصادية يضبطها بأسباب ويضبط العلاقات الاقتصادية بين مخلوقاته من البشر بأسباب وتوثيق الدين هو واحد من الأسباب العاملة على ضبط العلاقات الاقتصادية بين البشر .

ملكية الله سبحانه وتعالى المطلقة لكل ما فى السموات والأرض لها ارتباطها بكونه الخالق للحياة ومنها الحياة الاقتصادية ، الملكية المطلقة لله لها ارتباطها بالتشريع للانفاق التكافلى ، إن للمالك أن يشرع فيما يملك منظما له على الوجه الذي يراه ، لقد خلق الله سبحانه وتعالى فقراء واغنياء وربط بينهم بأسباب منها تشريع التكافل ، إنه المالك المطلق فله التصرف المطلق .

ملكية الله المطلقة لها ارتباطها بتوثيق الدين ، إن كلامنهما يعمل على الضمان الاقتصادى للدائن ولدينه ، وليس هذا هو الجانب الوحيد الذى يربط بينهم إن الإيمان بإن الله سبحانه وتعالى له الملكية المطلقة يمثل ضمانة للدين أكبر من توثيق الدين نفسه.

إن هذا يمثل فهما للارتباطات القائمة بين عناصر الإطار الاقتصادى المحيط بآيات الربا فى سورة البقرة . لا شك أنه لا يمثل الفهم الوحيد ، إنه ليس أكثر من فهم وندعو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الفهم فاتحة لأفهام أخرى تقدم عن هذا الموضوع فى القرآن الكريم وعن غيره من الموضوعات .

اللوحة البيانية (٣٢)

التفاعل المتبادل بين العناصر الاقتصادية فى المنظومة المعرفية لآيات الربا ولأطرها-البقرة

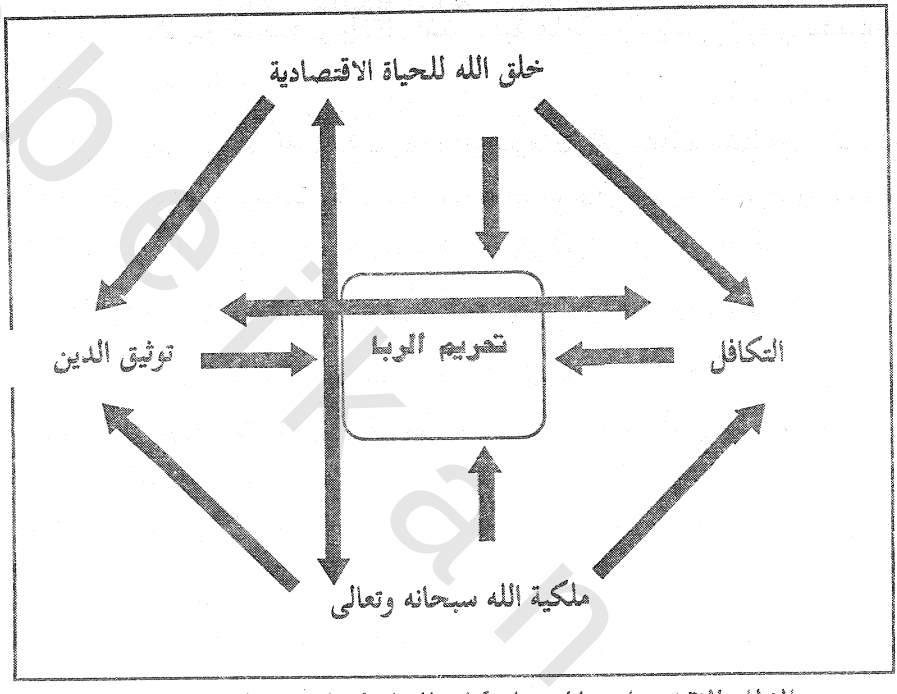

مجئ الإطار الإقتصادى المحيط بآيات الربا مكونا من عناصر توجد بينها هذه السلسة من الإرتباطات المتبادلة - هذا الأمر فوق كل القدرات المتصورة للعقل البشرى، وهذا أحد أوجه الاعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

سابعا : الاعجاز فى الهيكل العام للأطر

هذا الفرع الخامس مخصص لاستنتاج أوجه اعجاز تجميعية في الأطر المحيطة بآيات الربا فى سورة البقرة . عرضت ست فقرات في هذا الفرع لمناقشة هذا العمل التجميعى . الوجه الاعجازي التجميعى الذى نري أن نعرضه أخيرا يتعلق بالهيكل العام لموضوعات الأطر المحيطة بآيات الربافى سورة البقرة . سلسة الأطر المحيطة

بآيات الربا فى سورة البقرة تقسم إلى قسمين : قسم سابق على الآيات وقسم تال لها.القسم السابق يشمل على موضوعين . الموضوع الأول عقيدى : الألوهية بصفاتها القاهرة ، الموضوع الثانى اقتصادى : ويتكون من عنصرين : افكار اقتصادية عامة وتشريع اقتصادى .

القسم التالى : ويشتمل على موضوعين ، الموضوع الأول اقتصادى : ويتكون من عنصرين : تشريع اقتصادى وأفكار اقتصادية عامة . والموضوع الثانى عقيدى : الإيمان بالله وبما أنزل .

بدون إعادة المناقشة السابقة عن هذه الموضوعات والارتباطات بينها فإننا نستنتج أن الهيكل العام لموضوعات الأطر المحيطة بآيات الربا فى سورة البقرة مثل صيغة لمنظومة يعجز عنها البشر وهذا هو الاعجاز المعرفى الآيات الربا فى القرآن الكريم .

الفرع السادس : إعادة ترتيب الأطر المحيطة بآيات الربا فى سورة البقرة

اقتضت الدراسة أن نتدرج فى دراسة المنظومة المعرفية لآيات الربا فى سورة البقرة وفى غيرها من السور ، وقد جاء التدرج على النحو الآتى : دراسة آيات الربا أولا ، ثم الانطلاق منها إلى الآيات المحيطة بها . بعد أن استكملت هذه الدراسة المتدرجة نرى من الضرورى أن نعيد ترتيب الأطر ؛ بمعنى أن نعطى ترقيما جديدا للأطر .

لعمل هذا الترقيم الجديد فإننا سنعيد العرض فى لوحة بيانية بحيث تعطي ما نستهدفه فى هذه الفقرة . اللوحة البيانية (٣٣) هي اللوحة المنشودة التى نعبر بها عن إعادة الترقيم للأطر . تظهر اللوحة أن العنصر العقيدى البحت يمثل الإطار الأول أما الإطار الثانى فهو عقيدى اقتصادى (فكرة اقتصادية عامة) ثم يجئ الإطار الثالث وهو عقيدى اقتصادي (تشريع اقتصادى) .

تعطي اعادة الترقيم النتائج التالية :

١- العقيدة هي الموضوع الحاكم ، إنها الإطار العام وهى التى يبدأ بها وينتهى بها.

٢- الأطر بها تدرج لموضوع العقيدة : عقيدة بحتة ، عقيدة مع اقتصاد عام ، عقيدة مع اقتصاد تشريعى . هذا التدرج يقف العقل أمامه مسلما تسليما كليا بأنه لاتدرج غيره يمكن أن يوجد .

اللوحة البيانية (٣٣)

الترتيب الصحيح للأطر المحيطة بآيات الربا - البقرة

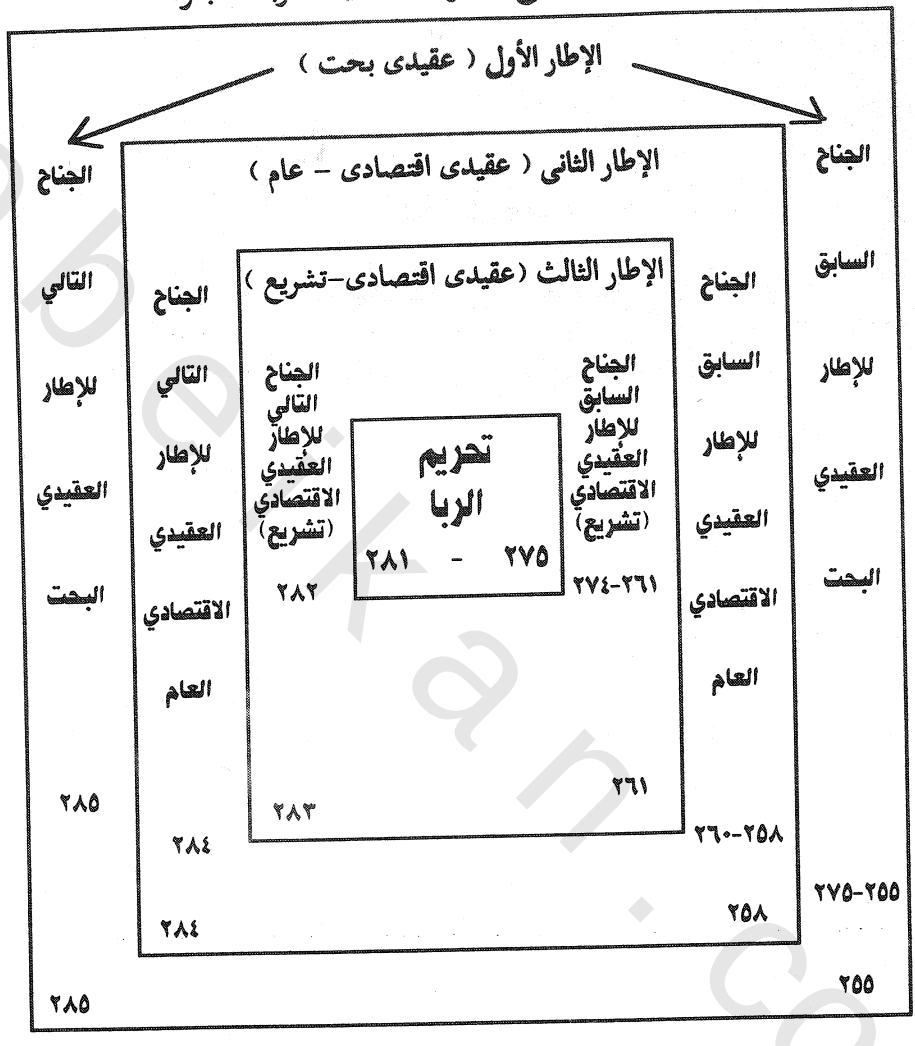

٣- الموضوع الاقتصادي به أيضا تدرج من اقتصاد عام إلى تشريع اقتصادى ثم الوصول إلى الربا الذى هو ايضا تشريع اقتصادى .

هذه النتائج الثلاثة مجتمعة تعطى النتيجة العامة التالية : إننا أمام منظومة معرفية معجزة ، والاعجاز متمثل فى الموضوعات وفى الترتيب بين الموضوعات بل وفى الترتيب فى التدرج فى الموضوع الواحد . هذا الاعجاز هو الفرضية التي نعمل على اثباتها فى هذه الدراسة .